دخول الإسلام طوعا
ورغبة واختيارا لا كرها ولا اضطرارا
منتقى من
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى
للإمام
شمس الدين أبي عبد الله ابن القيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله
ويليه
مشاكل الدعوة والدعاة
في العصر الحديث
للعلامة
محمد أمان بن علي الجامي
المتوفى سنة ١٤١٦ هـ رحمه الله
اعتنى بهما وعلق عليهما وخرج أحاديثهما
أبو همام
محمد بن علي الصومعي البيضاني
غفر الله له بمنه وكرمه
دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع
شريف نبيل



دخلوا الإسلام طوعًا
ورغبة واختيارًا
لا كرهًا ولا اضطرارًا

مُنتقى مِن

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى

للعلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

رحمه الله

ويليه

مشاكل الدعوة والدعاة
في العصر الحديث

للعلامة

محمد أمان بن علي الجامي

المتوفى سنة ١٤١٦ هـ رحمه الله

اعتنى بهما وعلق عليهما وخرج أحاديثهما

أبو همام

محمد بن علي الصومعي البيضاني

غفر الله له بمنه وكرمه

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

رقم الإيداع: ١١٨٢٤ / ٢٠١٠م

دار سبيل المؤمنين

للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩

البريد الإلكتروني:

Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com

موقعنا على الإنترنت:

www.Sabilelmomnen.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

حملة شرسة مسعورة تجاه نبي الرحمة نبي هذه الأُمة محمد ﷺ، والقصد من تلكم الحملة تشويه شخصه ﷺ، وتشويه دعوته ورسالته؛ لصد الناس عنها، وهذا ناتج عما تُكِنُّه صدورهم من الحقد والحسد والعداء له ولرسالته الشريفة، ولو عرف هؤلاء سيرته ودعوته وشمائله ودَرَسوها دراسة تجردٍ وإنصافٍ ما قالوا

---

(١) آل عمران، آية: (١٠٢).

(٢) النساء، آية: (١)

(٣) الأحزاب، آية: (٧٠، ٧١)

ذلك ولَعَلِموا أن نبوَّة محمدٍ ﷺ تعتبر سعادة للبشرية جمعاء، وإخراجًا لها من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد، ولَعَلِموا أنه ﷺ أُرْسِلَ رحمةً للعالمين؛ كما قال تعالىٰ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1]، ولعلموا أنه ﷺ يهدي إلىٰ صراط مستقيم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، وإن الأساليب التي يقوم بها أعداء هذا النبي الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – لتتجدد بين كل فترة وأُخرىٰ.

ومن تلكم الأساليب السخيفة التي يبثها بعض الغربيين هي أن الذين دخلوا قديمًا الإسلام إنما دخلوا كرهًا واضطهادًا وخوفًا من السيف، ولم يدخلوا طوعًا واختيارًا، ومنهم من أسلم من أجل الدنيا.

وقد تصدىٰ لقمع مثل هذه الشبه علماء أهل السنة والجماعة منهم شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه في «هداية الحيارىٰ» بيَّن أن محمدًا ﷺ لم يكره أحدًا علىٰ الدخول في الإسلام، وأن من أسلموا أسلموا طوعًا واختيارًا، وإنما كان ﷺ يقاتل من قاتله، أما من سالمه وهادنه فإنه لم يقاتله ما دام مقيمًا علىٰ هدنته ولم ينقض عهده أو يمتنع عن دفع الجزية.

وبرهن على ذلك بأمور؛ منها:

١- إسلام ملك النصارىٰ علىٰ إقليم الحبشة في زمنه ﷺ لمَّا تبين له أنه رسول الله ﷺ، فدخل في دينه وآوىٰ أصحابه ومنعهم من أعدائهم، ولا شك أن من كان ذا ملكٍ لا يكون مُضْطَهَدًا ولا مُكْرَهًا، بل دخل الإسلام طوعًا واختيارًا، وبيَّن أن الذين هم دون هذا المَلِكِ ممن هداه الله من النصارىٰ هم أكثر بأضعاف

---

(١) الأنبياء، آية: (١٠٧).

(٢) الشورىٰ، آية: (٥٢).

مضاعفة ممن أقام علىٰ النصرانية.

٢- إسلام مَنْ هو أعلم النصارىٰ بدينهم ممن كان قد تيقن خروج النبي ﷺ، فقدم المدينة قبل مبعثه، فلما رآه عرف أنه النَّبي الذي بَشَّرَ به المسيحُ، وهذا هو سلمان الفارسي، وذكر ابن القيم قصته بطولها كاملة، ولا شك أن من بلغ في العلم مثل ما بلغ سلمان الفارسي فإنه لا يترك دينه الذي كان عليه وينتقل إلىٰ غيره إلا لأنه الحق، وأن ما عداه باطل.

٣- عَزْمُ أحدِ ملوك وعلماء النصارىٰ علىٰ الدخول في الإسلام، وهو «هِرَقْل»؛ فإنه قد عرف واعترف بنبوَّة محمدٍ ﷺ، وعزم علىٰ الدخول في الإسلام، فأبىٰ عليه عباد الصليب، وخشي علىٰ ملكه.

٤- إسلامُ سيدِ وعالمِ اليهودِ علىٰ الإطلاق وابنِ سيِّدهم باعترافهم وشهادتهم أنفسهم، له بذلك، وهو عبد الله بن سلام، ومن كان في هذه المنزلة والرفعة عند قومه فإنه لا يترك تلكم المكانة التي نالها إلا لما لديه من علمٍ بأن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، علم ذلك من كتبهم وعلمائهم، وذكر ابن القيم قصة إسلامه، وبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مثل هؤلاء وغيرهم ممن أسلموا لم يسلموا رغبة في الدنيا، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم ومحاربة أهلِ الأرض لهم، بل إنهم تحملوا معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن، مع قلة ذات أيديهم وضعف شوكة المسلمين، فكان أحدهم يخرج من الدنيا ورغدِ العيش رغبةً في الإسلام لا لرياسةٍ ولا مالٍ، بل ينخلع من الرياسة والمال ويتحمل أذىٰ الكفار من ضربهم وشتمهم وصنوف أذاهم ولا يصرفه ذلك عن دينه.

وعندما كنت أقرأ في هذا الكتاب «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ» جال في خاطري أن أنتقي منه ما ينتفع منه من كان مذبذبًا وفاتحًا أذنه

لما يطرحه أعداء الإسلام وأعداء هذا النبي الكريم، لا سيما من عاش بين ظهرانيهم أو تأثر بأقوالهم ممن اصطنعتهم وربتهم أوربا، فانبهروا بما هي عليه من الحضارة - زعموا -، فجمعت ذلك وانتقيته وعلقت عليه ببعض التعليقات التي تتم بها الفائدة[١].

وقد انتزعت له عنوانًا من كلام ابن القيم رحمه الله وهو «**دخلوا في الإسلام طوعًا ورغبةً واختيارًا لا كرهًا ولا اضطرارًا**».

أسأل الله العلي القدير أن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيه وعبده محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو همام

محمد بن علي الصومعي البيضاني

اليمني الأصل المكي مجاورةً

في ظهر يوم السبت الموافق ١٤٣١/٣/١٣هـ

بمكة المكرمة

❁ ❁ ❁

(١) وأُنبه هنا علىٰ أن ترجمة الإمام ابن القيم رحمه الله أخذتها من مقدمة تحقيق الشيخ سليم الهلالي لكتاب «الوابل الصيب» لابن القيم والتعليقات التي عليها كلها له.

ترجمة العلامة ابن القيم رحمه الله

* نسبه ونسبته:

هو الفقيه، المفتي، المحدث، المجتهد، الإمام الرباني، شيخ الإسلام الثاني: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد[1] الزُّرعي[2]، ثم الدمشقي[3]، الشهير بـ«ابن قيم الجوزية»[4]، لا غيره، خلافًا

(١) اتفقت مصادر ترجمته علىٰ جرِّ نسبه إلىٰ جد أبيه «سعد» ثم اختلفت.

(٢) ولادة، نسبة إلىٰ «زرع»، ويقال لها اليوم: «أزرع»، قرية من أعمال حوران، ويراها المسافر من عمان إلىٰ دمشق عن يمينه بين درعا والشيخ مسكين. وحوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرىٰ كثيرة ومزارع، وقصبتها بصرىٰ؛ كما في «معجم البلدان» (٣/ ٧١٣).

(٣) انتقالًا، وإقامةً، ووفاةً.

(٤) إذا كان أبوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قيمًا[1] علىٰ المدرسة الجوزية؛ فقيل له: «قيم الجوزية»، واشتهرت به ذريته من بعده؛ فكان يقال للواحد منهم: «ابن قيم الجوزية».

والجوزية: من أعظم مدارس الحنابلة بدمشق الشام؛ نسبة إلىٰ واقفها يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يزال موقعها معروفًا في حي «البزورية» المسمىٰ قديمًا: «سوق القمح»، وقد اختلس جيرانها معظمها، وبقيت منها بقية. ثم صارت محكمة سنة (١٣٢٧هـ)، ثم أقفلت مدة إلىٰ أن فتحتها جمعية الإسعاف الخيرية مدرسة لتعليم الأطفال، وقد احترقت سنة (١٩٣٥م) أثناء ....

(١) مشرفًا علىٰ إدارتها، وناظرًا عليها.

=

للكوثري[(١)] الذي نبزه بـ«ابن زفيل»[(٢)].

*** ولادته:**

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في السابع من شهر صفر الخير سنة (٦٩١هـ).

*** أسرته ونشأته وطلبه للعلم:**

نشأ ابن قيم الجوزية في جو علمي في كنف والده الشيخ الصالح قيم الجوزية، وأخذ عنه الفرائض، وذكرت كتب التراجم بعض أفراد أسرته، كابن أخيه أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن زين الدين عبد الرحمن الذي اقتنىٰ أكثر مكتبة عمه، وأبنائه: عبد الله، وإبراهيم، وكلهم معروف بالعلم وطلبه.

=

...الثورة السورية علىٰ الفرنسيين، ثم أعيد بناؤها.

أفاده ابن بدران في «منادمة الأطلال» (ص٢٢٧)، ومحمد مسلم الغنيمي في «ابن قيم الجوزية» (ص١٠٠).

(١) هو محمد زاهد بن الحسن الكوثري، شركسي الأصل، حنفي المذهب، جهمي المعتقد، ولد بقرية «دوزجة» شرقي «الأستانة» سنة (١٢٩٦هـ)، ثم انتقل إلىٰ مصر، واستقر فيها، وله تعليقات كثيرة علىٰ كتب الحديث والعقائد؛ أفسد وأساء، وكان جُلُّ همِّه التنقص من أهل الحديث عامة وشيخ الإسلام وتلميذه ابن قيم الجوزية بخاصة، توفي سنة (١٣٧١هـ).

ترجمته في «مقالات الكوثري» (مقدمته ص ٥ - ٧٧)، و«الأعلام» (٦/ ١٢٩).

(٢) وقد بيَّن زيف هذا اللقب الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه: «ابن قيم الجوزية: حياته، وآثاره» ص(١٨ - ٢٠).

وعرف عن ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ الرغبة الصادقة الجامحة في طلب العلم، والجلَد والتفاني في البحث منذ نعومة أظفاره؛ فقد سمع من الشهاب العابر المتوفى سنة (٦٩٧هـ) فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم[١] عليه؛ لصغر السن، واخترام المنية له رَحِمَهُ اللَّهُ»[٢]، وبهذا يكون قد بدأ الطلب لسبع سنين مضت من عمره.

*** رحلاته:**

قَدِمَ ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ القاهرة غير مرة، وناظر، وذاكر. وقد أشار إلى ذلك المقريزي؛ فقال: «وقدم القاهرة غير مرة»[٣]، وقال: «وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر»[٤].

وقال: «وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة»[٥].

وزار بيت المقدس، وأعطى فيه دروسًا، قال: «ومثله لي قلته في القدس»[٦].

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ كثير الحج والمجاورة، كما ذكر في بعض كتبه[٧].

---

(١) هو علم تعبير الرؤى.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٣٣).

(٣) «السلوك» (٢/ ٨٣٤).

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٧).

(٥) «هداية الحيارى» (ص٨٧).

(٦) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٤٥).

(٧) «مدارج السالكين» (١/ ٥٧- ٥٨).

قال ابن رجب: «وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدّة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يُتعجب منه»[١].

*** مكتبته:**

كان ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُغرمًا بجمع الكتب، وهذا دليل الرغبة الصادقة في العلم بحثًا وتصنيفًا، وقراءةً، وإقراءً، يظهر ذلك في غزارة المادة العلمية في مؤلفاته، والقدرة العجيبة علىٰ حشد الأدلة.

وقد وصف تلاميذه - رحمهم الله - مكتبته؛ فأجادوا:

قال ابن رجب: «وكان شديد المحبة للعلم، وكتابته، ومطالعته، وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنىٰ من الكتب ما لم يحصل لغيره»[٢].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واقتنىٰ من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْرِه من كتب السلف والخلف»[٣].

قلت: ومع هذا كله يقول بتواضع جم: «بحسب بضاعتنا المزجاة من الكتب»[٤].

ورحم الله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية القائل: «فمن نوَّر الله قلبه هداه ما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالة»[٥].

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٩).

(٣) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٥).

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٢٩).

(٥) «الوصية الصغرىٰ» (ص٦١).

* مشاهير شيوخه:

تلقىٰ ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ العلم علىٰ كثير من المشايخ، ومنهم:

١- قيم الجوزية والده رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقد لازمه، وتفقه به، وقرأ عليه كثيرًا من الكتب، وبدأت ملازمته له سنة (٧١٢ هـ) حتىٰ توفي شيخ الإسلام سجينًا في قلعة دمشق (٧٢٨هـ).

٣- المزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

* تلاميذه:

١- ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ، صرح بأنه شيخه، ثم قال: «ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها»[١].

٢- ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه»[٢].

٣- الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، ترجم لابن قيم الجوزية في المعجم المختص بشيوخه[٣].

٤- ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ كما قال ابن رجب: «وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له؛ كابن عبد الهادي، وغيره»[٤].

٥- الفيروز آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب «القاموس المحيط»؛ كما قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٧- ٤٤٨ و٤٥٠).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٤- ٢٣٥).

(٣) ترجمة رقم (٣٤٧).

(٤) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٩).

«ثم ارتحل إلىٰ دمشق فدخلها سنة (٧٥٥هـ)[١]، سمع من التقي السبكي وجماعة زيادة عن مائة؛ كابن القيم»[٢].

*** علاقته بشيخه ابن تيمية ومنهجه:**

بدأت ملازمة ابن قيم الجوزية لشيخ الإسلام ابن تيمية عند قدومه إلىٰ دمشق سنة (٧١٢ هـ)، واستمرت إلىٰ وفاة الشيخ سنة (٧٢٨ هـ)، وبهذا تكون مدة مرافقة ابن قيم الجوزية لشيخه ستة عشر عامًا، بقىٰ طيلتها قريبًا منه يتلقَّىٰ عنه علمًا جمًّا، وقرأ عليه فنونًا كثيرة.

قال الصفدي: «قرأ عليه قطعة من «المحرر» لجده المجد، وقرأ عليه من «المحصول»، ومن كتاب «الأحكام» للسيف الآمدي، وقرأ عليه قطعة من «الأربعين» و«المحصل»، وقرأ عليه كثيرًا من تصانيفه»[٣].

وبدأت هذه الملازمة بتوبة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ يدي شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ كما أشار إلىٰ ذلك بقوله[٤]:

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخ لكم معوان

جربت هذا كله ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران

حتىٰ أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

---

(١) هكذا في الأصل، وهو خطأ ظاهر؛ لأن ابن قيم الجوزية توفي سنة (٧٥١هـ) فتنبه؛ فلم يلتفت إلىٰ هذا جُلُّ من نقله وترجم لابن قيم الجوزية.

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ٢٨٠).

(٣) «الوافي بالوَفَيَات» (١٢/ ٢٧٠- ٢٧١).

(٤) «الكافية الشافية» (ص١٠٦- ١٠٧).

فتـىٰ أتـىٰ مـن أرض حـرّان فيـا أهـلًا بمـن قـد جـاء مـن حـرَّان

وكان لهذه الملازمة أثرٌ بالغٌ في نفس ابن قيم الجوزية؛ فشارك شيخه في الذب عن المنهج السلفي، وحمل رايته من بعده، وتحرر من كل تبعية لغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس له علىٰ غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادرًا إلىٰ المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر علىٰ الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة؛ كما يفعله غيره من المتمذهبين، بل لا بد له من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال، وعدم التعويل علىٰ القيل والقال، وإذا استوعب الكلام في بحث وطوَّل ذيوله أتىٰ بما لم يأتِ به غيره، وساق ما نشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل، وأظنها سرت إليه بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء(١)، والقيام معه في محنه، ومواساته بنفسه، وطول تردده إليه.

وبالجملة؛ فهو أحد من قام بنشر السُّنَّة، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جُنَّة؛ فرحمه الله، وجزاه عن المسلمين خيرًا»(٢).

ومع هذا كله فلم يكن ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ نسخة من شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل كان متفننًا في علوم شتىٰ - باتفاق المتقدمين والمتأخرين - تدل علىٰ علو كعبه، ورسوخه في العلم.

---

(١) هي بركة العلم الموروث عن نبينا محمد ﷺ، وفهمه بمنهج سلف الأمة الذي تربىٰ عليه علىٰ عين شيخه شيخ الإسلام - رحمهما الله -.

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ١٤٤ - ١٤٥).

وكيف يكون ابن قيم الجوزية مرددًا لصدىٰ صوت شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو ينكر التقليد، ويحاربه بكل ما أوتي من حول وقوة؟!

*** ثناء العلماء عليه:**

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، ولا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلىٰ أن مات الشيخ، فأخذ عنه علمًا جمًّا، مع ما سلف له من الاشتغال؛ فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلًا ونهارًا، وكثرة الابتهال، وكان حسن القراءة والخلق، وكثير التودد، لا يحسد أحدًا، ولا يؤذيه، ولا يستغيبه، ولا يحقد علىٰ أحد، وكنت أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدًّا، ويمد ركوعه وسجوده، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع، ولا ينزع عن ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئًا كثيرًا، واقتنىٰ من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشْرِه من كتب السلف والخلف.

وبالجملة، كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، سامحه الله ورحمه»(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتفقه في المذهب، وبرع وأفتىٰ، ولازم الشيخ تقي الدين، وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفًا بالتفسير، لا يجارىٰ فيه، وبأصول الدين - وإليه فيهما المنتهىٰ - والحديث: معانيه وفقهه، ودقائق

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٤- ٢٣٥).

الاستنباط منه، لا يُلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيها اليد الطولىٰ، وتعلم الكلام، والنحو، وغير ذلك، وكان عالمًا بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف، وإشاراتهم، ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولىٰ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا عبادة، وتهجد، وطول صلاة إلىٰ الغاية القصوىٰ، وتأوه، ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة، والاستغفار، والافتقار إلىٰ الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه علىٰ عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله»[1].

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان ذا فنون في العلوم، وخاصة التفسير، والأصول: في المنطوق والمفهوم»[2].

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد صنف، وناظر، واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير، والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية»[3].

*** مؤلفاته:**

ضرب ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ بحظ وافر في علوم شتىٰ، يظهر هذا الأمر جليًّا لمن استقصىٰ كتبه التي كانت للمتقين إمامًا، وأفاد منها الموافق والمخالف.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف النافعة السائرة،

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨).

(٢) «الرد الوافر» (ص٣٥- ٣٦).

(٣) «بغية الوعاة» (١/ ٦٣).

التي انتفع بها الموافق والمخالف؛ لكان غاية في الدلالة علىٰ عظم منزلته»[1].

وإليك أشهرها مرتبة على حروف المعجم:

١- «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية».

٢- «أحكام أهل الذمة».

٣- «إعلام الموقعين عن رب العالمين».

٤- «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان».

٥- «بدائع الفوائد».

٦- «تحفة المودود في أحكام المولود»، وقد حققت نصوصه - بحمد الله - علىٰ ثلاث نسخ خطية، وخرجت أحاديثه وآثاره، وهو مطبوع.

٧- «تهذيب مختصر سنن أبي داود».

٨- «الجواب الكافي»، وهو المسمىٰ: «الداء والدواء».

٩- «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام علىٰ محمد ﷺ خير الأنام».

١٠- «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح».

١١- «حكم تارك الصلاة».

١٢- «الرسالة التبوكية»، وقد حققته - بحمد الله - علىٰ نسخة خطية نادرة، وخرجت أحاديثه، وعلقت عليه، وهو مطبوع.

١٣- «روضة المحبين، ونزهة المشتاقين».

١٤- «الروح».

١٥- «زاد المعاد في هدي خير العباد».

---

(١) «الرد الوافر» (ص٦٤).

١٦- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل».

١٧- «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة».

١٨- «طريق الهجرتين وباب السعادتين».

١٩- «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية».

٢٠- «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وقد حققته - بحمد الله وفضله-، علىٰ نسختين خطيتين، وخرجت أحاديثه وآثاره، وعلقت عليه، وهو مطبوع.

٢١- «الفروسية».

٢٢- «الفوائد»، وقد حققته، وخرجت أحاديثه وآثاره، وهو مطبوع.

٢٣- «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» وهي «القصيدة النونية».

٢٤- «الكلام علىٰ مسألة السماع».

٢٥- «مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

٢٦- «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة».

٢٧- «المنار المنيف في الصحيح والضعيف».

٢٨- «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ».

٢٩- «الوابل الصيب في الكلم الطيب».

*** محنة وثبات:**

حبس مع شيخه ابن تيمية في المرة الأخيرة في القلعة، منفردًا عنه، بعد أن أهين، وطيف به علىٰ جمل، مضروبًا بالدِّرَّة، سنة (٧٢٦هـ)، ولم يفرج عنه إلا بعد

موت شيخه سنة (٧٢٨ هـ)(١).

وحبس مرة لإنكاره شدَّ الرحال إلىٰ قبر الخليل.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد امتحن وأوذي مرات»(٢).

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ليلة الخميس، ثالث وعشرين من رجب الفرد، سنة (٧٥١ هـ)، ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلىٰ، وجمعنا وإياه في عليين، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

*** مصادر ترجمته:**

١- «أبجد العلوم» صديق حسن خان (٣/ ١٣٨).

٢- «البداية والنهاية» ابن كثير (١٤/ ٢٣٤).

٣- «البدر الطالع» الشوكاني (٢/ ١٣٤).

٤- «بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٦٢).

٥- «التاج المكلل» صديق حسن خان (ص٤١٦).

٦- «الدرر الكامنة» ابن حجر (٤/ ٢١- ٢٣).

٧- «ذيل طبقات الحنابلة» ابن رجب (٢/ ٤٤٧).

٨- «ذيل العبر في خبر من عبر» (٥/ ٢٨٢).

٩- «الرد الوافر» ابن ناصر الدين الدمشقي (ص٦٨).

١٠- «شذرات الذهب» ابن العماد (٦/ ١٦٨).

---

(١) «الدرر الكامنة» (٤/ ٢١).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨).

١١- «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ٩٣).

١٢- «الفتح المبين في طبقات الأصوليين» المراغي (٢/ ٧٦).

وقد صنفت كتب مفردة، مثل:

١- «ابن قيم الجوزية» محمد مسلم الغنيمي.

٢- «ابن الجوزية: حياته وآثاره» بكر بن عبد الله أبو زيد.

٣- «ابن قيم الجوزية: عصره ومنهجه» عبد العظيم عبد السلام.

٤- «ابن القيم اللغوي» أحمد ماهر البقري.

٥- «ابن القيم وآثاره العلمية» أحمد ماهر البقري.

٦- «ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي» عوض الله حجازي.

❀ ❀ ❀

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، ونصب لنا الدِّلالة علىٰ صحته برهانًا مبينًا، وأوضحَ السَّبيلَ إلىٰ معرفته واعتقاده حقًّا يقينًا، ووعدَ منْ قام بأحكامه وحفظ حدودَهُ أجرًا جسيمًا، وذخر لمن وافاه به ثوابًا جزيلًا وفوزًا عظيمًا، وفرض علينا الانقياد له ولأحكامه، والتمسك بدعائمه وأركانه، والاعتصام بعراهُ وأسبابه.

فهو دينُه الذي ارتضاه لنفسه، ولأنبيائه ورسله، وملائكة قدسه، فبه اهتدىٰ المهتدون، وإليه دعا الأنبياءُ والمرسلون.

﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[1].

فلا يَقبل من أحد دينًا سواه من الأولين والآخرين: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[2].

شهد بأنَّه دينُه قَبْلَ شهادة الأنام، وأشادَ به ورَفَعَ ذِكْرَهُ، وسمَّىٰ به أهلَه وما اشتملت عليه الأرحامُ، فقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[3].

وجعل أهلَه همُ الشهداءُ علىٰ النَّاس يومَ يقومُ الأشهاد، لِمَا فضَّلهم به من الإصابة في القول والعمل والهَدْي والنيَّة والاعتقادِ، إذْ كانوا أحقَّ بذلك وأهلَه في

---

(١) آل عمران، آية: (٨٣).

(٢) آل عمران، آية: (٨٥).

(٣) آل عمران، آية: (١٨، ١٩).

سابق التقدير، فقال:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾(١).

وحَكَمَ - سبحانه - بأنَّه أحسنُ الأديانِ، ولا أحسنَ من حُكْمِهِ ولا أصدقَ منه قِيلًا، فقال:

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾(٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدَّ له ولا ندَّ له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا كفؤ له، تعالىٰ عن إفك المبطلين، وخَرْص الكاذبين، وتقدَّس عن شرك المشركين، وأباطيل الملحدين.

كَذَبَ العادلون به سواه، وضَلُّوا ضلالًا بعيدًا، وخسروا خسرانًا مبينًا: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾(٣).

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وصفوتُه من خلقه وخِيرتُه من بَرِيَّتِه، وأمينه علىٰ وَحْيِه، وسفيرُه بينه وبين عباده، ابتعثه بخير مِلَّة وأحسن شِرْعة، وأظهر دلالة

---

(١) الحج، آية: (٧٨).

(٢) النساء، آية: (١٢٥).

(٣) المؤمنون، آية: (٩١، ٩٢).

وأوضح حُجَّة، وأبْيَنِ برهانٍ إلىٰ جميع العالمين[(١)].

أما بعد:

فإنَّ الله - جلَّ ثناؤهُ وتقدَّست أسماؤه وتبارك اسمُه وتعالىٰ جَدُّه ولا إله غيره - جعلَ الإسلامَ عصمةً لمن لجأ إليه، وجُنَّةً لمن استمسك به وعضَّ بالنواجذ عليه، فهو حَرَمُه الذي مَنْ دخله كان من الآمنين، وحِصْنُهُ الذي من لجأ إليه كان من الفائزين، ومَنِ انقطع دونه كان من الهالكين، وأبىٰ أن يقبل من أحد دينًا سواه - ولو بذل في المسير إليه جهده واستفرغ قواه -، فأظهره علىٰ الدِّين كلِّه حتىٰ طبَّق مشارقَ الأرض ومغاربَها، وسار مَسِيرَ الشَّمس في الأقطار، وبَلَغَ إلىٰ حيث انتهىٰ اللَّيلُ والنَّهار.

وعَلَتِ الدعوةُ الإسلاميَّة وارتفعت غايةَ الارتفاع والاعتلاء، بحيث صار أصلها ثابتًا، وفرعها في السماء، فتضاءلت لها جميع الأديان، وخَرَّت تحتها الأممُ منقادةً بالخضوع والذلِّ والإذعانِ، ونادىٰ المنادي بشعارها في جوِّ السماء بين الخافِقَيْن: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صارخًا بالشهادتين، حتىٰ بطلت دعوة الشيطان، وتلاشت عبادة الأوثان، واضمحلَّت عبادة النيران، وذل المثلِّثة عُبَّاد الصُّلْبان، وتقطَّعت الأمةُ الغضبيَّة في الأرض كتقطُّع السَّراب في القِيعَان.

وصارت كلمة الإسلام العليا، وصار له في قلوب الخلائق المثل الأعلىٰ، وقامتْ براهينُه وحججُه علىٰ سائر الأمم في الآخرة والأولىٰ، وبلغت منزلتُه في العُلَىٰ والرفعة الغايةَ القُصْوىٰ، وأقام لدولته ومصطفيه أعوانًا وأنصارًا، نشروا ألويتَهُ وأعلامَهُ، وحفظوا من التغيير والتبديل حدودَهُ وأحكامَهُ، وبلَّغوا إلىٰ نظرائهم - كما بلَّغ إليهم

---

(١) من مقدمة «هداية الحيارىٰ» لابن القيم باختصار.

مَنْ قَبْلَهُم - حلالَه وحرامَهُ، فعظَّموا شعائره، وعلَّموا شرائعه، وجاهدوا أعداءه بالحجة والبيان حتىٰ اسْتَغْلَظَ وَاسْتَوَىٰ علىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ويَغِيظُ الكُفَّارَ.

وعلا بنيانُه المؤسَّسُ علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان، إذْ كان بناء غيره مؤسَّسًا علىٰ شفا جُرُفٍ هارٍ، فتبارك الذي رفع منزلته، وأعلىٰ كلمتَه، وفخَّم شأنَه، وأشاد بنيانَه، وأذلَّ مُخَالفيه ومُعَانديه، وكَبَتَ من يُبْغِضه ويُعادِيه، ووسمهم بأنَّهم شَرُّ الدوابِّ، وأعدَّ لهم - إذا قدموا عليه - أليمَ العقاب، وحكم لهم بأنهم أضلُّ سبيلًا من الأنعام، إذِ استبدلوا الشركَ بالتوحيد، والضلالَ بالهدىٰ، والكفرَ بالإسلام، وحكم - سبحانه - لعلماء الكفر وعباده حكمًا يشهد ذوو العقول بصحته ويرونه شيئًا حسنًا، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[1].

فأين يذهب مَنْ تولَّىٰ عن توحيد ربِّه وطاعته، ولم يرفع رأسًا بأمره ودعوته، وكذَّب رسولَه وأعرضَ عن متابعته، وحادَ عن شريعته، ورَغِبَ عن ملَّتِه، واتَّبع غير سُنَّتِه، ولم يستمسك بعهده، ومكَّن الجهلَ من نفسه، والهوىٰ والعنادَ من قلبِه، والجحودَ والكفرَ مِنْ صَدْرِهِ، والعصيانَ والمخالفةَ مِنْ جوارحه، فقد قابل خبر الله بالتكذيب، وأمْرَهُ بالعصيان، ونهيَه بالارتكاب، يَغْضَبُ الربُّ وهو راضٍ، ويرضىٰ وهو غضبان، يحبُّ ما يبغض، ويبغض ما يحبُّ، ويوالي من يعاديه، ويعادي من يواليه، يدعو إلىٰ خلاف ما يرضىٰ، وينهىٰ عبدًا إذا صلَّىٰ، قد اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ فأصمَّه وأبكمه وأعماه، فهو ميِّت الدارين، فاقد

---

(١) الكهف، آية: (١٠٣ - ١٠٦).

السَّعادتين، قد رضي بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وباع التجارة الرابحة بالصفقة الخاسرة؛ فقَلْبُه عن ربه مصدود، وسبيل الوصول إلىٰ جنته ورضاه وقربه عنه مسدود، فهو وليُّ الشيطان وعدوُّ الرَّحمن، وحليف الكفر والفسوق والعصيان.

رضي المسلمون بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، ورضي المخذولُ بالصَّليبِ والوثن إلهًا، وبالتَّثليث والكفر دِينًا، وبسبيل الضَّلال والغضب سبيلًا، أعصىٰ النَّاس للخالق الذي لا سعادة له إلا في طاعته، وأَطْوَعُهم للمخلوق الذي ذهاب دنياه وأُخْراه في طاعته، فإذا سُئِل في قبره: من ربُّك وما دينُك ومن نبيُّك؟ قال: آه، آه، لا أدري. فيقال: لا دَرَيْتَ، ولا تَلَيْتَ، وعلىٰ ذلك حَيِيتَ، وعليه متَّ وعليه تُبْعثُ إن شاء الله تعالىٰ، ثم يُضْرَمُ عليه قبرُه نارًا، ويضيق عليه كالزُّجِّ في الرُّمح إلىٰ قيام الساعة[1].

وبالجملة: فدينُ الحنيفيَّة - الذي لا دين لله غيره بين هذه الأديان الباطلة التي لا دين في الأرض غيرها - أخفىٰ من السُّهَا[2] تحت السَّحاب.

وقد نظر الله إلىٰ أهل الأرض فَمَقَتَهُمْ عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فأَطْلَعَ اللهُ شمس الرسالة في حَنَادِسِ[3] تلك الظُّلَم سراجًا منيرًا، وأنْعَمَ بها علىٰ أهل الأرض نعمةً لا يستطيعون لها شُكورًا، وأشرقتِ الأرضُ بنورها أكْمَلَ الإشراق، وفاض ذلك النور حتىٰ عمَّ النواحيَ والآفاق، واتَّسَقَ قمر الهدىٰ

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٣/ ٢٣٢)، و«صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٠٠).

(٢) السُّها: كوكب خفي يَمْتَحِنُ الناسُ به أبصارهم. «مختار الصحاح» صـ(٣١٩) مادة «سها».

(٣) جمع حِنْدِس، وهو الليل الشديد الظلمة. «النهاية» (١/ ٤٤١). مادة «حندس».

أَتَمَّ الاتِّساق، وقام دين الله الحنيفُ علىٰ ساق.

فللّه الحمدُ الذي أنقذَنَا بمحمَّدٍ ﷺ من تلك الظُّلُمات، وفتح لنا به باب الهدىٰ فلا يُغْلَق إلىٰ يوم الميقات، وأرانا في نوره أَهْلَ الضلال وهم في ضلالهم يتخبَّطون، وفي سكرتهم يَعْمَهُونَ وفي جهالتهم يتقلَّبون، وفي رَيْبِهم يتردَّدُون، يؤمنون: ولكن بالجبت والطاغوت يؤمنون، ويعدلون: ولكن بربِّهم يعدلون، ويعلمونَ:

ولكن ظاهرًا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون، ويسجدون: ولكن للصَّليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون وما يمكرون: إلَّا بأنفسهم وما يشعرون.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾(١).

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾(٢).

والحمد لله الذي أغنانا بشريعتِهِ التي تدعو إلىٰ الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمْرَ بالعدل والإحسان، والنهيَ عن الفحشاء والمنكر والبغي، فله المِنَّةُ والفضل علىٰ ما أنعم به علينا وآثَرَنا به علىٰ سائر الأمم، وإليه الرغبة أن يُوزِعَنَا شُكْرَ هذه النعمة، وأنْ يفتحَ لنا أبواب التَّوبةِ والمغفرةِ والرَّحمة.

فأحبُّ الوسائل إلىٰ المحسن التوسُّلُ إليه بإحسانه، والاعترافُ له بأنَّ الأمر كلَّه محضُ فضلِه وامتنانِه.

---

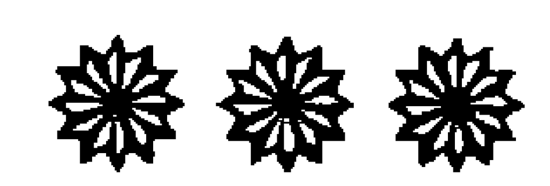
(١) آل عمران، آية: (١٦٤).

(٢) البقرة، آية: (١٥١ - ١٥٢).

فله علينا النِّعمة السَّابغةُ، كما له علينا الحُجَّةُ البالغة، نَبُوءُ بِنعَمِهِ علينا، ونبوءُ بذنوبنا وخطايانا وجَهْلِنا وظُلْمِنا وإسْرَافِنا في أمرنا؛ فهذه بضاعتنا التي لدينا، لم تُبْقِ لنا نِعَمُه وحقوقُها وذنُوبنا حسنةً نرجو بها الفوزَ بالثَّواب والتخلُّصَ من أليم العقابِ، بل بعض ذلك يستنفِدُ جميع حسناتنا، ويستوعبُ كلَّ طاعتنا، هذا لو خلصت من الشوائب، وكانت خالصةً لوجهه، واقعةً علىٰ وَفْقِ أمره، وما هو والله إلا التعلُّقُ بأذيال عفوه وحُسْنُ الظنِّ به، واللجوء منه إليه، والاستعاذةُ به منه، والاستكانة والتذلُّل بين يديه، ومدُّ يد الفاقة والمَسْكَنَةِ إليه، بالسؤال والافتقار إليه في جميع الأحوال.

فمَنْ أصابته نفحةٌ من نَفَحَاتِ رحمته، أو وَقَعتْ عليه نظرةٌ من نظرات رأفته: انتعشَ من بين الأموات، وأَنَاخَتْ بفنائِهِ وفودُ الخيرات، وترحَّلت عنه جيوش الهموم والغموم والحسرات.

وإذا نَظَــرْتَ إليَّ نَظْــرَةَ رَاحِــمٍ ... في الــدَّهْرِ يومًــا إنَّنــي لَــسَعِيدُ



[أصناف من على الأرض عند مبعثه ﷺ]

إن الله سبحانه وتعالىٰ بعث محمدًا ﷺ رسولًا إلىٰ أهل الأرض، وهم خمسة أصناف، قد طبقوا الأرض: يهود، ونصارىٰ، ومَجُوسٌ، وصَابِئَة، ومشركون، وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت علىٰ الدنيا من مشارقها إلىٰ مغاربها.

فأمَّا اليهود؛ فأكثر ما كانوا باليمن وخَيْبَر والمدينةِ وما حولها، وكانوا بأطراف الشام مُسْتَذَلِّين مع النَّصارىٰ، وكان منهم بأرض فارس فرقة مستذلَّة مع المجوس، وكان منهم بأرض المغرب فِرْقَةٌ، وأعزَّ ما كانوا بالمدينة وخيبر، وكأن الله سبحانه قد قطَّعهم في الأرض أُممًا وسلبهم المُلْكَ والعِزَّ.

وأمَّا النصارىٰ؛ فكانوا طَبَقَ الأرض؛ فكانت الشَّام كلُّها نصارىٰ، وأرضُ المغرب كان الغالب عليهم النصارىٰ، وكذلك أرض مِصْرَ، والحَبَشَةِ والنُّوبَةِ، والجزيرة، والمَوْصِل، وأرضِ نَجْرَانَ وغيرها من البلاد.

وأما المجوس؛ فهم أهل مملكة فارس وما اتَّصل بها.

وأمَّا الصَّابِئَةُ؛ فأهلُ حَرَّانَ، وكثيرٌ من بلاد الروم.

وأما المشركون، فجزيرة العربِ جميعُها، وبلادُ الهندِ، وبلاد التُّرك وما جاورها.

وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، ودينُ الحُنَفَاءِ لا يعرف فيهم البتَّة، وهذه الأديان الخمسة كلُّها للشيطان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: الأديان ستة، واحد للرحمن، وخمسة للشيطان[1]. وهذه الأديان الستة

---

(١) لم أقف له علىٰ سند إلىٰ ابن عباس، وإنما يذكره بعض المفسرين عن قتادة. وانظر «الدر المنثور» (٤/ ١٧٦) ط دار الفكر.

مذكورةٌ في آية الفصل، في قوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

❋ ❋ ❋

(١) الحج، آية: (١٧).

[استجابة أكثر أهل الأرض له ﷺ ولخلفائه من بعده]

فلما بعث الله رسوله ﷺ استجاب له - ولخلفائه بعده - أكثرُ أهل الأديان طوعًا واختيارًا، ولم يُكْرِه أحدًا قط علىٰ الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يُكْرِهْهُ علىٰ الدخول في دينه؛ امتثالًا لأمر ربِّه سبحانه، حيث يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾(١). وهذا نفيٌ في معنىٰ النهي، أي لا تُكْرِهُوا أحدًا علىٰ الدِّين.

نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهوَّدوا وتنصَّروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أَسْلَمَ الآباءُ وأرادوا إكراهَ الأولاد علىٰ الدِّين، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتىٰ يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام(٢).

---

(١) البقرة، آية: (٢٥٦).

(٢) **قال أبو الفداء ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٧٢)**: يقول تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾؛ أي: لا تكرهوا أحدًا علىٰ الدخول في دين الإسلام؛ فإنه بين واضح جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلىٰ أن يُكره أحدٌ علىٰ الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه علىٰ بينة، ومن أعمىٰ الله قلبه وختم علىٰ سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عامًّا.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت المرأة تكون مقلاة - أي لا يعيش لها ولد - فتجعل علىٰ نفسها إن عاش لها ولد أن تُهَوِّدَه، فلما أُجْلِيَتْ =

والصحيح أَنَّ الآية علىٰ عمومها في حقِّ كلِّ كافرٍ، وهذا ظاهرٌ علىٰ قول من يجوِّز أَخْذَ الجزية من جميع الكفار، فلا يُكْرَهُونَ علىٰ الدخول في الدِّين، بل إمَّا أن يدخلوا في الدين، وإما أن يُعْطُوا الجزية، كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة، وإن استثنىٰ هؤلاء بعضَ عَبَدَةِ الأوثان.

ومَنْ تأمَّل سيرة النبيِّ ﷺ تبيَّن له أنه لم يُكْرِهْ أحدًا علىٰ دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هَادَنَهُ: فلم يُقاتِلْه ما دام مقيمًا علىٰ هدنته لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالىٰ أن يَفِيَ لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾[1]، ولما قَدِمَ المدينةَ صالح اليهودَ، وأقرَّهم علىٰ دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمنَّ علىٰ بعضهم، وأجلىٰ بعضَهم، وقتل بعضهم.

وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين لم يبدأهم بقتالٍ حتىٰ بدؤوا هم بقتاله ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم[2]، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك، كما

بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾. اهـ.

قلت: ورجال هذا الأثر كلهم ثقات، وأبو بشر هو جعفر بن إياس ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير.

وقد صحح الأثر شيخنا الوادعي في (١/ ٥٧٣) من تحقيقه لتفسير ابن كثير، وهو في «الصحيح المسند من أسباب النزول» صـ(٤٧).

(١) التوبة، آية: (٧).

(٢) انظر «السيرة» صـ(٥٢١) لابن إسحاق، و«البداية والنهاية» (٦/ ٥٠٩- ٥١٠)، و«نثر الجواهر المضية علىٰ كتاب أمالي في السيرة النبوية» صـ(٢١٢- ٢١٩) بقلمي.

قصدوه يوم أُحُدٍ[1] ويوم الخَندَقِ[2] ويوم بدر[3] أيضًا، هم جاؤوا لقتاله، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم.

والمقصود: أنه ﷺ لم يُكْرِهْ أحدًا علىٰ الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناسُ في دينه اختيارًا وطوعًا؛ فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لمَّا تبيَّنَ لهم الهدىٰ وأنَّه رسولُ الله حقًّا.

فهؤلاء أهل اليمن، كانوا علىٰ دين اليهوديَّة أو أكثرهم، كما قال النبي ﷺ لمعاذٍ لمَّا بعثه إلىٰ اليمن: «إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فليكنْ أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله...» وذكر الحديث[4]، ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة ولا رهبة.

---

(١) انظر «الطبقات» (٢/ ٢٣)، و«أنساب الأشراف» (١/ ٣٦٨)، و«نثر الجواهر المضية» صـ(١١٧- ٢١٣).

(٢) وهي غزوة الأحزاب كذلك، وقد بوب البخاري في «صحيحه» باب «غزوة الخندق، وهي الأحزاب»، قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٧/ ٤٩٩): يعني أن لها اسمين، وهو كما قال، والأحزاب جمع حزب؛ أي طائفة، فأما تسميتها بالخندق فلأجل الخندق الذي حُفِرَ حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي، وأما تسميتها بالأحزاب، فلاجتماع طوائف من المشركين علىٰ حرب المسلمين، وهم: قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم. اهـ.

(٣) انظر «الطبقات» (٢/ ١١)، و«السيرة» (١/ ٤٧٠) لابن هشام، و«نثر الجواهر المضية» صـ(١٠٥- ١١٠).

(٤) متفق عليه.

وكذلك مَنْ أسلم من يهود المدينة، وهم جماعة كثيرون غير عبد الله بن سلام، مذكورون في كتب السِّيَر والمغازي؛ لم يُسْلِموا رغبةً في الدنيا، ولا رهبةً من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سَوْطٍ ولا نَوْطٍ[1]؛ بل تحملوا معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم، فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام، لا لرياسة ولا مال، بل ينخلع من الرياسة والمال ويتحمل أذىٰ الكفار؛ مِنْ ضربهم وشتمهم وصنوف أذاهم، ولا يصرفه ذلك عن دينه[2].

فقد أسلم جمهور أهل الأرض من فِرَقِ الكفَّار ولم يَبْقَ إلا الأقلُّ بالنسبة إلىٰ

---

(١) النوط: الضرب والتعليق. «لسان العرب» (٧/ ٤١٨).

(٢) لقد لقي المسلمون من أعدائهم صنوفًا من البلايا والاضطهاد، حتىٰ إنهم ألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، وما زادهم ذلك إلا ثباتًا علىٰ دينهم الحق، ولهذا يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأُمُّه سُمَيَّة وصهيب والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه وهان علىٰ قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول أحدٌ أحدٌ. رواه أحمد (١/ ٤٠٤)، وهو حديث حسن ورجاله ثقات كلهم سوىٰ عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث.

من أسلم.

فهؤلاء نصارىٰ الشام كانوا ملء الشام ثم صاروا مسلمين إلا النادر، فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، وكذلك المجوس كانت أمةً لا يُحصِي عدَدَهُمْ إلا الله، فأطبقوا علىٰ الإسلام، لم يتخلَّفْ منهم إلا النادر، وصارت بلادهم بلاد إسلام، وصار مَنْ لم يُسْلِم منهم تحت الجزية والذلة[١]، وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يَبْقَ منهم إلا شِرْذِمَةٌ قليلة مقطَّعة في البلاد.

وقد دخل في دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله ﷺ خلقٌ كثير.

وهذا مَلِكُ النَّصارىٰ علىٰ إقليم الحبشة في زمن النبيِّ ﷺ، لما تبيَّن له أنَّه رسولُ الله آمن به، ودخل في دينه، وآوىٰ أصحابَهُ ومَنَعَهُمْ من أعدائهم.

وقصَّتُه أشهر مِنْ أنْ تذكر؛ ولما مات أَعْلَمَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه بالسَّاعة التي تُوفِّي فيها وبينهما مسيرة شهر، ثم خرج بهم إلىٰ المصلَّىٰ وصلَّىٰ عليه[٢].

---

(١) انظر «زاد المعاد» (٥/ ٩٠- ٩٢).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٤٥)، ومسلم برقم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «نعىٰ النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه، فخرج بهم إلىٰ المصلىٰ فصف بهم وكبَّر أربعًا».

فائدة:

كان قديمًا مَن مَلَك الحبشة يقال له: النجاشي.

ومن ملك اليمن: تُبَّع.

ومن ملك الفرس: كسرىٰ.

ومن ملك مصر: فرعون.

=

[الهجرة إلى الحبشة][1]

فروىٰ الزُّهْرِيُّ عن أبي بكْرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارث بنِ هشام المَخْزُومِيِّ، عن أم سَلَمَةَ - زوج النبيِّ ﷺ -، قالت:

لما نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنَا بها خيرَ جارٍ النجاشيَّ، أَمِنَّا علىٰ ديننا، وعَبَدْنَا الله لا نُؤْذَىٰ ولا نَسْمع شيئًا نكرهه، فلمَّا بلغ ذلك قريشًا ائتمروا علىٰ أن يبعثوا إلىٰ النجاشيِّ هدايا مما يُسْتَطْرَفُ من متاع مكةَ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميِّ وعمرو بنِ العاص، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلىٰ كل بِطْرِيقٍ هديَّتَه قبل أن تكلموا النجاشيَّ فيهم، ثم قَدِّموا إلىٰ النجاشي هداياه، ثم سلوه أن يُسَلِّمَهم إليكم قبل أن يُكلِّمهم.

قالت: فَخَرَجَا فَقَدِمَا علىٰ النَّجاشيِّ، ونحن عنده بخير دار، وعند خير جوار، فلم يَبْقَ من بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلا دفعا إليه هديَّته قبل أن يُكلِّما النَّجاشيَّ، ثم قالا لكل بِطْرِيقٍ: إنه قد صبأ إلىٰ بلد الملك منَّا غِلْمان سُفَهَاء فَارَقُوا دينَ قومهم، ولم يَدْخلُوا في دينكم، وجاؤوا بدين مُبْتَدَعٍ، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنَا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم؛ لتردَّهم إليهم، فإذا كلَّمْنَا

=

ومن ملك الروم: قيصر.

وغير ذلك من أعلام الأجناس، وانظر «تفسير سورة الدخان» من تفسير أبي الفداء العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

(١) أما هجرته ﷺ فانظر لها آخر هذه الرسالة.

المَلِكَ فيهم فأشِيرُوا عليه بأن يسلِّمهم إلينا ولا يكلِّمهم، فإنَّ قومهم أعلىٰ بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا: نعم.

ثم إنهما قَرَّبا هداياهم إلىٰ النَّجاشيِّ فقبلها منهم، ثم كلَّماه فقالا له: أيها الملك، إنَّه قد صبا إلىٰ بلدك منَّا غِلْمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مُبْتَدَع، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلىٰ بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلىٰ عبدِ الله بنِ أبي ربيعةَ وعمرو بنِ العاص من أن يسمع النَّجاشيُّ كلامَهُمْ.

فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك، قومُهم أعلىٰ بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم. فأَسْلِمْهم إليهما لِيرُدّاهم إلىٰ بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النَّجاشيُّ، ثم قال: لاها الله إذَنْ[1] لا أَسْلِمُهم إليهما ولا أكاد

---

(١) قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: فأما لاها الله فقال الجوهري: ها للتنبيه وقد يقسم بها، يقال: لاها اللهِ ما فعلتُ كذا، قال ابن مالك: فيه شاهد علىٰ جواز الاستغناء عن واو القسم بحرف التنبيه، قال: ولا يكون ذلك إلا مع الله، أي لم يُسمع لاها الرحمن كما سُمِعَ لا والرحمن...

وأما (إذًا) فثبتت في جميع الروايات المعتمدة والأُصول المحققة من الصحيحين وغيرها بكسر الألف ثم دال معجمة منونة، وقال الخطابي: هكذا يروونه، وإنما هو في كلامهم - أي العرب - لاها اللهِ ذا، والهاء فيه بمنزلة الواو، والمعنىٰ: لا والله يكون ذا؛ ونقل عياض في «المشارق» عن إسماعيل القاضي أن =

- أقوام جاوروني ونزلوا ببلادي واختاروني علىٰ مَنْ سواي - حتىٰ أدعوهم فأسألهم عمَّا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلَمْتُهُمْ إليهما وَرَددْتُهم إلىٰ قومهم، وإن كانوا علىٰ غير ذلك مَنَعْتُهم منهما، وأحْسَنْتُ جوارهم ما جَاوَرُوني.

قالت: ثم أرسل إلىٰ أصحاب رسولِ الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما عَلِمْنَا، وما أَمَرَنَا به نبيُّنَا ﷺ كائنًا في ذلك ما هوَ كائن، فلما جاؤوه - وقد دعا النَّجاشيُّ أَسَاقِفَتَهُ فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال: ما هذا الدِّين الذي فارقْتُمْ فيه قومَكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الأُمم...

❊ ❊ ❊

[جعفر رضي الله عنه يشرح دعوة الإسلام]

... قالت: وكان الذي كلَّمَه جَعْفَرُ بنُ أبي طالبٍ، فقال له: أيها الملك، كُنَّا قومًا أهلَ جاهليةٍ، نعبد الأصنامَ، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسِيءُ الجوار، يأكل القويُّ منَّا الضعيفَ، فكنَّا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نَسَبَه وصِدْقَه وأمانته وعَفافَه، فدعانا إلىٰ الله لنوحِّدَه ونَعْبُدَه ونخلعَ ما كنّا نَعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنَا بصدقِ

=

المازني قال: قول الرواة «لاها اللهِ إذًا» خطأ، والصواب لاها الله ذا؛ أي: ذا يميني وقسمي، وقال أبو زيد: ليس في كلامهم لاها الله إذًا، وإنما هو لاها الله ذا، وذا صلةٌ في الكلام، والمعنىٰ: لا واللهِ، هذا ما أقسم به، ومنه أخذ الجوهري فقال: قولهم: لاها اللهِ ذا معناه لا والله هذا، ففرقوا بين حرف التنبيه والصلة، والتقدير: لا والله ما فعلت ذا... اهـ. «فتح الباري» (٧/ ٦٣٣) ط. السلفية.

الحديث، وأداءِ الأَمانة، وصلةِ الرَّحم، وحُسْنِ الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونَهانَا عن الفَواحِش، وقَوْلِ الزُّور، وأَكْلِ مالِ اليتيم، وقَذْفِ المُحْصَنَة، وأَمَرَنَا أن نعبدَ الله لا نشركَ به شيئًا، وأمَرَنا بالصَّلاةِ والزكاة والصيام - قالت: فعدَّد عليه أمورَ الإسلام -، فصدَّقْنَاه وآمَنَّا به واتَّبعناه علىٰ ما جاء به؛ فَعَبَدْنَا الله وحده، ولم نُشْرِكْ به شيئًا، وحرَّمْنَا ما حرَّم علينا، وأحْلَلْنَا ما أحلَّ لنا، فَعَدَا علينا قومُنا فعذَّبونا وفَتَنُونا عن ديننا لِيَرُدُّونا إلىٰ عبادة الأوثان من عبادة الله عزَّ وجلَّ، وأنْ نَسْتَحِلَّ ما كنَّا نَستحلُّ من الخبائث، فلما قَهَرُونَا وظَلَمُونا وشَقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلىٰ بلدك، واخترناك علىٰ مَنْ سواك، ورَغِبْنَا في جوارك، ورَجَوْنَا أنْ لا نُظْلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النَّجاشيُّ: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم

فقال له النجاشيُّ: فَاقْرَأه عليَّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1].

قالت: فبكىٰ - واللهِ - النجاشيُّ حتىٰ أَخْضَلَ لحيَتَهُ، وبَكَتْ أساقِفَتُهُ حتىٰ أَخْضَلُوا مصاحفَهم حين سمعوا ما تُلِيَ عليهم، ثم قال النجاشيُّ: إنَّ هذا والذي جاء به موسىٰ لَيَخْرج من مِشْكاةٍ واحدة، انطلِقُوا، فوالله لا أُسْلِمُهم إليكم أبدًا ولا أكاد.

قالت أمُّ سَلَمَةَ: فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غدًا أعيبهم عنده بما أستأصل به خَضْراءَهم.

قالت: فقال عبدُ الله بنُ أبي ربيعةَ - وكان أبقىٰ الرجلين فينا -: لا تَفْعلْ فإنَّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالَفُونا.

---

(١) مريم، آية: (١).

قال: والله لأُخبِرَنَّه أنَّهم يزعمون أنَّ عيسىٰ بنَ مريمَ عَبْدٌ.

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسىٰ بنِ مريمَ قولًا عظيمًا، فأرْسِلْ إليهم فاسْأَلْهُمْ عمَّا يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم فسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلُها.

فاجتمع القوم، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما تقولون في عيسىٰ إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول - والله - فيه ما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وما جاء به نبيُّنا كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسىٰ بنِ مريم؟

فقال له جَعْفَرُ بنُ أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا: هو عَبْدُ الله ورسولُه ورُوحُه وكَلِمَتُه التي ألقَاها إلىٰ مَرْيَمَ العذراء البَتُول (وروحٌ منه).

فضرب النَّجاشيُّ يده إلىٰ الأرض فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسىٰ بنُ مريمَ ما قلتَ هذا العُودَ، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال، وإنْ نخرتم، وإن نخرتم، والله، اذهبوا فأنتم سُيُومٌ بأرضي - والسيوم الآمنون[1] - مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ما أُحبُّ أنَّ لي دَبْر ذهبٍ وأنِّي آذيتُ رجلًا منكم - «والدَّبْر» بلسان الحبشة: الجبل - رُدُّوا عليهما هداياهما، ولا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ اللهُ مني الرّشوة حين ردَّ عليَّ مُلْكي، فآخُذَ الرِّشوة فيه، وما أطاعَ النَّاسَ فيَّ فأطيعَهُمْ فيه.

---

(١) كذا جاء تفسير «سُيُوم»، وهي كلمةٌ حبشية، وتُروىٰ بفتح الشّين، وقيل: سُيُوم جمع سائم، أي: تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد. «النهاية» (١/ ٨٣٥) مادة «سيم».

قالت: فخرجا من عنده مَقْبُوحَيْن مردودًا عليهما ما جاءا به، وأَقَمْنَا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فوالله إنَّا لَعَلىٰ ذلك، إذْ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلكِهِ.

قالت: فوالله ما عَلِمْتُنَا حَزِنَا حُزْنًا قطُّ كان أشدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاه عند ذلك، تَخَوُّفًا أن يَظْهَر ذلك الرجل علىٰ النجاشيِّ، فيأتي رجلٌ لا يعرف مِنْ حَقِّنا ما كان النجاشيُّ يعرف منه.

قالت: فسار النَّجاشيُّ - وبينهما عرضُ النِّيل - فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يخرج حتىٰ يحضر وقعةَ القوم حتىٰ يأتينَا بالخبر؟

قالت: فقال الزُّبير: أنا - وكان من أحدث القوم سنًّا - قالت: فنفخوا له قِرْبَةً فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتىٰ خرج إلىٰ ناحية النِّيل التي بها مُلْتَقَىٰ القوم، ثم انطلق حتىٰ حضرهم.

قالت: ودعونا الله للنَّجاشيِّ بالظهور علىٰ عدوِّه والتمكين له في بلاده، فاستوثق له أمر الحبشة، فكنَّا عنده في خير منزلٍ حتىٰ قَدِمْنَا علىٰ رسول الله ﷺ[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) الحديث رواه أحمد (١/ ٢٠٢- ٢٣) من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري به، وهو حديث حسن، رجاله ثقات، ومحمد بن إسحاق حديثه حسن إذا صرح بالتحديث لأجل تدليسه، وقد صرح بالتحديث فأمِنَّا ذلك.

[كتابه ﷺ إلى النَّجاشيِّ]

فلما كان شهر ربيع الأول سنةَ سبع من الهجرة كتب رسولُ الله ﷺ إلىٰ النَّجاشيِّ كتابًا يدعوه فيه إلىٰ الإسلام، وبعثَ به مع عمرو بنِ أميَّةَ الضَّمْريِّ[1]، فلما قُرئ عليه الكتاب أسلم، وقال: لو قدرت علىٰ أنْ آتيَهُ لأَتيْتُه، وكتب إليه رسولُ الله ﷺ أن يزوِّجه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبي سفيان، ففعل[2] وأصدقَ عنه أربعمائة

(١) كذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا خلاف ما حرره في «زاد المعاد» (١/ ١٢٠)، فإنه في «فصلٌ في كتبه ورسله ﷺ إلىٰ الملوك» قال: فأوَّلُهُم عمرو بن أُمية الضَّمْري؛ بعثه إلىٰ النجاشي واسمه أصْحمة بن أبجر، وتفسير أصحمة بالعربية «عطية»، فعظم كتاب النبي ﷺ ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكان من أعلم الناس بالإنجيل، وصلىٰ عليه النبي ﷺ يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة، هكذا قال جماعة؛ منهم الواقدي وغيره، وليس كما قال هؤلاء، فإن أصحمة النجاشي الذي صلىٰ عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه، هذا الثاني لا يُعْرَف إسلامه، بخلاف الأول، فإنه مات مسلمًا. وقد روىٰ مسلم في «صحيحه» برقم (١٧٧٤) من حديث قتادة عن أنس، قال: كتب رسول الله ﷺ إلىٰ كسرىٰ، وإلىٰ قيصر، وإلىٰ النجاشي، وإلىٰ كلِّ جبار يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، وليس بالنَّجاشي الذي صلىٰ عليه رسول الله ﷺ، وقال أبو محمد بن حزم: إن هذا النجاشي الذي بعث إليه ﷺ عمرو بن أُمية الضمري لم يسلم، والأول هو اختيار ابن سعد وغيره، والظاهر قول ابن حزم. اهـ.
انظر «جوامع السيرة» صـ(٢٥) لابن حزم، و«نثر الجواهر المضية» علىٰ كتاب أمالي في السيرة النبوية» صـ(١٩١) بقلمي.

(٢) روىٰ أبو داود برقم (٢١٠٧) من حديث أُمِّ حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة، فزوجها النجاشي النبي ﷺ، =

دينار، وكان الذي تولَّىٰ التزويج خَالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاص بنِ أميَّة.

وكتب إليه رسول الله ﷺ أنْ يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل، فقدموا المدينة، فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر، فشخصوا إليه، فوجدوه قد فتح خيبر، فكلَّم رسولُ الله ﷺ المسلمين أن يُدْخِلُوهم في سهامهم، ففعلوا[1].

فهذا مَلِكُ النصارىٰ قد صدق رسولَ الله ﷺ وآمن به واتَّبعه، وكم مثلُه ومَنْ هو دونه ممَّن هداه الله من النصارىٰ قد دخل في الدين، وهم أكثر بأضعاف مضاعفة ممن أقام علىٰ النصرانية؟

❋ ❋ ❋

=

وامهرها عنه اربعة الاف، وبعث بها إلىٰ رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة. قال أبو داود: حسنة هي أمه.

وهو حديث صحيح، وأورده شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في «الجامع الصحيح» (٥/ ٢٠١).

(١) وهؤلاء هم أصحاب السفينة، قال أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذاكرًا قصتهم: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأَخَوَانِ لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رُهْم، إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو: اثنين وخمسين رجلًا من قومي، فركبنا سفينةً فألقتنا سفينتُنا إلىٰ النجاشي بالحبشة ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا. فأقمنا معه حتىٰ قدمنا جميعًا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا - أو قال: فأعطانا - منها، وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئًا إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم».

رواه البخاري برقم (٣١٣٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٥).

[قصة إسلام سلمان الفارسي]

وقد كان «سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ» من أعلم النصارىٰ بدينهم، وكان قد تيقَّن خروجَ النبيِّ ﷺ، فَقَدِمَ المدينةَ قبل مبعثه، فلما رآه عرف أنَّه هو النبيُّ الذي بشَّر به المسيح، فآمن به واتَّبعه، ونحن نسوق قِصَّتَه:

قال ابن إسحاق: حدَّثني عاصمٌ، عن محمودٍ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: حدَّثني سَلْمَانُ الفارسيُّ مِنْ فيه، قال: كنت رجلًا فارسيًّا من أهل أَصْبَهَان[1]، من قريةٍ يُقَال لها: جَيّ[2]، وكان أبي دِهْقَان[3] قَرْيته، وكنتُ أحبَّ خَلْقِ الله إليه، لم يزل حُبُّه إيَّاي، حتىٰ حبسني في بيتٍ كما تُحْبَسُ الجاريةُ، فاجتهدت في المجوسيَّة

---

(١) **أصبهان:** منهم من فتح الهمزة - وهم الأكثر -، وكسرها آخرون؛ مدينة معروفة من بلاد فارس، سُمِّيَتْ بذلك لأن أول من نزلها إصبهان بن فلوج، وقيل: لأن «إصْبَه» بلسان الفرس: البلد، و«هان» الفَرَس فمعناه: بلد الفرسان. «معجم ما استُعجم» (١/ ١٦٣)، «معجم البلدان» (١/ ٢٤٤).

(٢) **جَيّ بالفتح ثم التشديد:** اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهي الآن كالخراب منفردة، وتسمَّىٰ عند العجم شَهْرَستان، وعند المحدثين المدينة، وقد نسب إليها المديني، عالم من أهل أصبهان «معجم البلدان» (٢/ ٢٣٥).

(٣) **الدهقان:** بكسر الدال وضمها: رئيس القرية ومُقَدَّمُ التُّنَّاء وأصحاب الزراعة، وهو مُعَرَّبٌ، ونونه أصلية، وقيل: زائدة، فإن جعلتها أصلية صرفته، وإن جعلتها زائدة لم تصرفه. وانظر «مختار الصحاح» صـ(٢١٢)، و«النهاية» (١/ ٥٩٢). مادة «دهقن».

حتىٰ كنت قَطِنَ النَّار[1] التي نوقدها لا نتركها تخبو ساعةً.

وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة[2]، فشُغِل في بُنْيانٍ له يومًا، فقال: يا بنيَّ، إنِّي قد شُغِلْت في بُنْياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهبْ إليها فاطَّلِعها وأمَرَني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تحتبس عنِّي؛ فإنك إن احتبستَ عنّي كنتَ أهمَّ إليَّ مِنْ ضيعتي، وشَغَلتَنِي عن كلِّ شيء من أمري.

فخرجت أريد ضيعتَه التي بعثني إليها، فمررت بكنيسةٍ من كنائس النَّصارىٰ، فسمعتُ أصواتَهم فيها وهم يصلُّون، وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحَبْس أبي إيَّايَ في بيته، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتُهم أعجَبَتْنِي صلاتُهم، ورغبتُ في أمرهم، وقلتُ: هذا - والله - خيرٌ من الذي نحن عليه. فوالله ما بَرِحْتُهُم حتىٰ غربتِ الشَّمسُ، وتركتُ ضيعتَه فلم آتِهَا، ثم قلت لهم: أين أصلُ هذا الدِّين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلىٰ أبي وقد بعثَ في طلبي، وشغلتُه عن عمله كلِّه، فلما جئتُه قال: يا بنيَّ أين كنتَ؟ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ؟ قلت: يا أبتِ، مررت بأناسٍ يصلُّون في كنيسةٍ لهم، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فوالله ما زلتُ حتىٰ غربتِ الشمسُ. قال: أي بنيَّ، ليس في ذلك الدِّين خيرٌ، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه،

---

(١) قَطِنَ النار: خازنها وخادمها، أراد أنه كان لازِمًا لها لا يفارقها، مِنْ قَطَنَ في المكان: إذا لَزِمَه. «النهاية» (٢/ ٤٧٢) مادة «قَطَنَ».

(٢) الضيعة عند الحاضرة: النخل والكرم والأرض، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرفة والصناعة. «تهذيب اللغة» (٣/ ٧٢)، وانظر «النهاية» (٢/ ٩٧- ٩٨) مادة «ضيع».

فقلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رِجْلي قيدًا، ثم حَبَسَني في بيته...

❋ ❋ ❋

[سلمان يَبْحث عن الحق]

... وبعثتُ إلىٰ النَّصارىٰ، فقلت لهم: إذا قَدِم عليكم ركب من الشام فأخبِرُوني بهم، فقَدِمَ عليهم تجَّارٌ من النصارىٰ، فأخبروني، فقلت لهم: إذا قَضَوا حوائجهم وأرادوا الرَّجعةَ إلىٰ بلادهم فآذِنُوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم، فألقيتُ الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتىٰ قَدِمْتُ الشَّامَ، فلما قَدِمْتُها قلت: مَنْ أفضلُ أهلِ هذا الدِّين عِلْمًا؟ قالوا: الأُسْقُفُّ[1] في الكنيسة، فجئتُه فقلت له: إنِّي قد رغبتُ في هذا الدِّين، وأحببتُ أن أكون معك فأخدمك في كنيستك، وأتعلَّم منك، وأصلِّي معك. قال: ادخُلْ، فدخلت معه، فكان رَجُلَ سَوْءٍ، يأمرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه ولم يُعْطِهِ المساكينَ، حتىٰ جمع سَبْع قِلَالٍ[2] من ذهبٍ ووَرِقٍ[3]، فأبغضتُه بُغْضًا شديدًا لِمَا رأيتُه يصنعُ.

---

(١) الأُسْقُفُّ هو عالمٌ رئيسٌ من علماء النصارىٰ ورؤسائهم، وهو اسمٌ سريانيٌّ، ويحتمل أن يكون سُمِّي به لخضوعه وانحنائه في عبادته، والسَّقَفُ في اللغة: طول في انحناء، وفي حديث أبي سفيان وهرقل: «أسقفَه علىٰ نصارىٰ الشام؛ أي جعله أسْقُفًّا عليهم. «النهاية» (١/ ٧٨٧)، مادة «سقف».

(٢) جمع قُلَّة، والقلة إناءٌ للعرب كالجرة الكبيرة، وقد يجمع علىٰ «قلل» و«قلال». «مختار الصحاح» صـ(٥٤٩)، مادة «قلل».

(٣) الوَرِق - بكسر الراء -: الفضة. «النهاية» (٢/ ٨٤١)، مادة «ورق».

ثم مات واجتمعت النصارىٰ ليدفنوه، فقلت لهم: إنَّ هذا كان رجل سَوْءٍ يأمركم بالصدقة ويرغِّبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئًا. فقالوا لي: وما عِلْمُكَ بذلك؟ قلت: أنا أدلُّكم علىٰ كنزه؛ فأريتُهُم موضِعَه، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءةً ذهبًا ووَرِقًا، فلمَّا رأوها قالوا: والله لا نَدْفِنُه أبدًا، فصلبوه ورمَوْه بالحجارة!!

وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلًا يصلِّي أرىٰ أنَّه أفضلُ منه، ولا أزهدُ في الدنيا، ولا أرغبُ في الآخرة، ولا أدأبُ ليلًا ولا نهارًا منه، فأحببته حُبًّا لم أحبَّه شيئًا قبله، فأقمت معه زمانًا، ثم حضَرَتْهُ الوفاة، فقلت له: يا فلان؛ إنِّي قد كنت معك، وأحببتُك حُبًّا لم أحبَّه شيئًا قبلك، وقد حضرك من أمر الله ما ترىٰ، فإلىٰ مَنْ تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ فقال: أي بنيَّ، والله ما أعلم أحدًا علىٰ ما كنتُ عليه، ولقد هلك الناس وبدَّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلًا بالموصل[1]، وهو فلانٌ، وهو علىٰ ما كنت عليه.

❁ ❁ ❁

[سلمان يلحق بقس الموصل]

... فلما مات وغُيِّب، لحقتُ بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إنَّ فلانًا أوصاني عند موته أنْ أَلْحَقَ بك، وأخبرني أنَّك علىٰ أمره، فقال: أَقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ علىٰ أمر صاحبه، فلما حَضَرَتْه الوفاةُ، قلت له: يا فلان، إنَّ فلانًا أوصىٰ بي إليك، وأمرني باللُّحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترىٰ،

---

(١) المَوْصِل: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة: سُمِّيَتْ بذلك لأنها وصلت بين الفُرات ودِجْلَة. «معجم ما استُعجِم» (٤/ ١٢٢٨).

فإلىٰ مَنْ تُوصِي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بنيَّ، والله ما أعلم رجلًا علىٰ مثل ما كُنَّا عليه إلا رجلًا بنَصِيبين، وهو فلانٌ فالْحَقْ به.

❁ ❁ ❁

[سلمان يلحق بقس نصيبين]

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نَصِيبِين[1]، فأخبرته خبري، وما أَمَرَني به صاحبي، فقال: أَقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه علىٰ أمر صاحبه، فأقمت مع خيرِ رجلٍ، فوالله ما لبث أن نزل به الموتُ، فلمَّا حُضِرَ، قلت له: يا فلان، إنَّ فلانًا أوصىٰ بي إلىٰ فلانٍ، ثم أوصىٰ بي فلانٌ إليك، فإلىٰ من تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ فقال: يا بنيَّ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ علىٰ أَمْرِنا آمرك أن تأتيَه إلا رجلًا بعمورية[2] من أرض الروم، فإنَّه علىٰ مثل ما نحن عليه، فإنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) نَصِيبين: بفتح أوّله، وكسر ثانيه: كورة من كُوَرِ ديارِ رَبيعة، وهي كأنها بين الحيرة والشام، كذا قال البكري في «معجم ما استعجم»، وقال ياقوت في «معجم البلدان»: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة علىٰ جادة القوافل من الموصل إلىٰ الشام.

(٢) عَمُّوريَّة: بفتح أوَّله وتشديد ثانيه: بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شُراة العلويَّة، قيل: سُمِّيَت بعمورية بنت الروم بن اليفذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقد ذكرها أبو تمام، فقال:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنىٰ حُفَّلًا معسولة الحلب

«معجم البلدان» (٤/ ١٧٨).

[سلمان يلحق بقس عموريَّة]

...فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عَمُّورِيَّة، فأخبرتُه خبري، فقال: أقم عندي. فأقمتُ عند خير رجل علىٰ هَدْي أصحابه وأمْرِهِم، فاكتسبت حتىٰ كانت لي بُقَيْرات وغُنَيْمَة، ثم نزل به أمر الله، فلما حُضِر، قلت له: يا فلانُ، إنّي كنت مع فلانٍ فأوصىٰ بي إلىٰ فلان، ثم أوصىٰ بي فلانٌ إليك، فإلىٰ من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بنيَّ، والله ما أعلمه أصبح علىٰ مثل ما كُنَّا عليه أحدٌ من الناس آمرك أن تأتِيَهُ، ولكنَّه قد أظلَّ زمان نبيٍّ مبعوثٍ بدينِ إبراهيمَ، يخرج بأرضِ العرب، مُهَاجَره إلىٰ أرضٍ بين حَرَّتَيْنِ، بينهما نخل، به علاماتٌ لا تخفىٰ، يأكل الهديَّة، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتَمُ النُّبوَّة، فإنِ استطعتَ أن تلحق بتلك البلادِ فافعلْ، ثم مات وغُيِّبَ.

❋ ❋ ❋

[رحلة سلمان إلى أرض العرب]

... فمكثتُ بعَمُّورِيَّةَ ما شاء الله أن أمكث، ثم مرَّ بي نَفَرٌ مِنْ كَلْب تُجَّار، فقلت لهم: احملوني إلىٰ أرض العرب وأعطيكم بُقَيْراتي هذه وغُنَيْمَتي هذه؛ قالوا: نعم. فأعْطَيْتُهمُوها فحملُوني معهم، حتىٰ إذا بلغوا وادي القُرَىٰ ظلموني، فباعوني من رجل يهوديٍّ، فكنت عنده، فرأيتُ النَّخْلَ، فرجوت أن يكون البلد الذي وَصَفَ لي صاحبي، ولم يَحِقَّ في نفسي، فبينا أنا عنده، إذْ قَدِمَ عليه ابنُ عمٍّ له من بني قُرَيْظَةَ من المدينة، فابتاعني منه، فحملني إلىٰ المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتُها فعرفتُها بصفة صاحبي، فأقمتُ بها.

❋ ❋ ❋

[سماع سلمان بقدوم النبي ﷺ]

وبُعِثَ رسولُ الله ﷺ، فأقام بمكةَ ما أقام، لا أسمع له بذِكْرٍ، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ، ثم هاجر إلىٰ المدينة، فوالله إنّي لفي رأس عَذْقٍ[1] لسيِّدي أعمل فيه بعض العمل، وسيّدي جالس تحتي، إذْ أقبل ابنُ عمٍّ له حتىٰ وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلَةَ، والله إنهم الآن لمجتمعون بِقُبَاءٍ علىٰ رجلٍ قَدِم عليهم من مكةَ اليومَ، يزعمون أنّه نبيٌّ. فلما سمعتُها أخذتني العُرَوَاءُ[2] حتىٰ ظننتُ أنِّي ساقطٌ علىٰ سيِّدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقولُ لابن عمِّه ذلك: ما تقول؟ فغضب سيِّدي، فلَكَمَنِي لكمةً شديدةً، ثمَّ قال: ما لَكَ ولهذا؟ أَقْبِلْ علىٰ عَمَلِكَ! فقلت: لا شيء، إنما أردتُ أن أستثبته عمَّا قال.

❁ ❁ ❁

[سلمان يستثبت من نبوَّة محمد ﷺ]

وقد كان عندي شيءٌ جمعته، فلما أمْسَيْتُ أخذتُه ثم ذهبت به إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، وهو بقُبَا[3]، فدخلتُ عليه، فقلت له: إنَّه قد بلغني أنَّك رجل صالح ومعك

---

(١) العَذْق بالفتح: النخلة، وبالكسر: العرجون بما فيه من الشماريخ، ويُجْمَع علىٰ عِذاقٍ. «النهاية» (٢/ ١٧٥) مادة «عَذَقَ».

(٢) العُرَوَاءُ: قلٌّ يأخذ الإنسان من الحُمَّىٰ ورِعْدة. «تهذيب اللغة» (٣/ ١٥٥) مادة «عرا».

(٣) قُبا: بالضم، وأصله اسم بئر هناك عُرِفَت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وأَلِفُه واوٌ يُمَدُّ ويقصَر ويصرف ولا يصرف، فمن قصر جعله جمعَ قَبْوَة وهو الضمّ والجمع في لغة أهل المدينة، وقد قَبَوت الحرف إذا =

أصحابٌ لك غُرَبَاء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، فقرَّبْتُهُ إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كُلُوا»، وأمسك فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة. ثم انصرفتُ عنه فجمعتُ شيئًا، وتحوَّل رسولُ الله ﷺ، إلىٰ المدينة، ثم جئتُه به، فقلت: إني قد رأيتك لا تأكُل الصَّدقة، وهذه هديةٌ أكرمْتُك بها. فأكلَ رسولُ الله ﷺ، وأمَرَ أصحابَه فأكلُوا معه. فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

ثم جئت رسول الله وهو بِبَقِيعِ الغَرْقَد[1] قد تَبِعَ جنازةَ رجلٍ من أصحابه، عليه شَمْلَتَانِ له، وهو جالس في أصحابه، فسلَّمْتُ عليه، ثم استَدَرْتُ أنظر إلىٰ ظهره، هل أرىٰ الخاتَم الذي وصف لي صاحبي؛ فلما رآني ﷺ اسْتَدْبَرْتُه عرف أنِّي أستَثْبِتُ في شيءٍ وُصِفَ لي، فألقىٰ الرِّدَاء عن ظهره، فنظرتُ إلىٰ الخاتَم فعرفتُه، فأكْبَبْتُ عليه أُقبِّله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوَّلْ»، فتحوَّلتُ، فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدَّثْتُك يابْنَ عبَّاس، فأعجبَ رسولَ الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه.

=

ضممته. «معجم البلدان» (٤/ ٣٤٢).

(١) بقيع الغرقد هو مقبرة المدينة، قال الأصمعي: قُطِعتْ غرقداتٌ في هذا الموضع حين دفن فيه عثمان بن مظعون فسمي بقيع الغرقد لهذا .اهـ.

وقيل: البقيع في اللغة: الموضع الذي فيه أُرومُ الشجر من ضروب شتىٰ، وبه سُمِّي بقيع الغرقد، والغرقد كبار العوسج.اهـ. «معجم ما استعجم» (١/ ٢٦٤)، «معجم البلدان» (١/ ٥٦).

[دعم المسلمين سلمان ليتحرر]

ثم شغل سلمانَ الرقُّ حتىٰ فاته مع رسول الله ﷺ بَدْرٌ وأُحُدٌ، قال سلمان: ثم قال لي رسولُ الله ﷺ: «**كاتِبْ يا سَلْمانُ**»، فكاتبتُ صاحبي علىٰ ثلاثمائةِ نخلةٍ أُحْيِيها له بالفَقِير، وأربعينَ أوقيَّةً، فقال رسول الله ﷺ: «**أَعِينُوا أخاكم**»، فأَعانُوني بالنَّخْلِ؛ الرجل بثلاثين وَدِيَّة[1]، والرجل بعشرين وَدِيَّة، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعينني الرجل بِقَدْر ما عنده، حتىٰ اجتمعتْ لي ثلاثُمائة وَدِيَّة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**اذهبْ يا سَلْمانُ فَفَقِّرْ لها**[2]**، فإذا فرغتَ فَأْتِني أكنْ أنا أضعها بيدي**»، فَفَقَّرْتُ وأعانني أصحابي حتىٰ إذا فرغتُ جئتُه فأخبرتُه، فخرج معي إليها، فجَعَلْنا نقرِّب إليه الوَدِيَّ[3] ويضعُه رسولُ الله ﷺ بيده، حتىٰ فرغت، فوالذي نَفْسُ سلمانَ بيده ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدة، فأدَّيت النخل، وبقي عليَّ

---

(١) بقيع الغرقد هو مقبرة المدينة، قال الأصمعي: قُطِعتْ غرقداتٌ في هذا الموضع حين دفن فيه عثمان بن مظعون، فسمي بقيع الغرقد لهذا اهـ.

وقيل: البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أُرومُ الشجر من ضروب شتىٰ، وبه سُمِّي بقيع الغرقد، والغرقد كبار العوسج. اهـ «معجم ما استعجم» (١/ ٢٦٤)، «معجم البلدان» (١/ ٥٦).

(٢) **فقير النخلة**: حُفْرَة تُحْفَر للفسيلة إذا حُوِّلَت لتُغْرَس فيها، فقوله ﷺ لسلمان: «ففقِّر لها». أي: احْفر لها موضعًا تغرس فيه، واسم تلك الحفرة: فُقْرة وفَقِير. «النهاية» (٢/ ٣٨٥). مادة «فَقَرَ».

(٣) **الوَدِيّ**: بتشديد الياء: صغار النخل، الواحدة وَدِيَّة. «النهاية» (٢/ ٧٣٧) مادة «ودا».

المال، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمثل بيضة الدَّجَاجة من ذهبٍ، من بعض المغازي، فقال: «**ما فعل الفارسيُّ المكاتَب؟**». فدُعِيتُ له، فقال: «**خُذْ هذه فَأَدِّها ممَّا عليك يا سَلْمانُ**». فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟! قال: «**خذها، فإنَّ الله سيؤدِّي بها**»، فأخذتُها فوزنت منها لهم - والذي نفسي بيده - أربعينَ أُوقيّة[1]، فأوفيتُهم حقَّهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخَنْدَقَ، ثم لم يَفُتْنِي معه مَشْهَدٌ[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أُوقيَّة: بضم الهمزة وتشديد الياء، والجمع يشدَّد ويخفف، مثل أُثفيَّة وأثافِّي، وأثافٍ، وربما يجيء في الحديث وَقِيَّة، وليست بالعالية، وهمزتها زائدة، وكانت الأُوقيَّة قديمًا عبارة عن أربعين درهمًا، وهي في غير الحديث نصف سدس الرطل، وهو جزء من اثني عشر جزءًا، وتختلف باختلاف اصطلاح البلاد. «النهاية» (١/ ٨٧) مادة «أوق».

(٢) الحديث رواه أحمد (٥/ ٤٤١) من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه عن محمد بن إسحاق به، ورجاله كلهم ثقات سوىٰ ابن إسحاق، هو حسن الحديث إذا صرح بالتحديث لأجل تدليسه، وقد صرح، فالحديث حسن، وعاصم هو: عاصم بن عمر بن قتادة، ثقة، وأورده شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٣٦٧) برقم (٤٤٠)، وحسنه.

[اعتراف هرقل بنبوة محمد ﷺ]

وكان مَلِكُ الشَّام أحد أكابر علمائهم بالنصرانية (هِرَقْل) قد عرف أَنَّه رسولُ الله ﷺ حقًّا، وعزم علىٰ الإسلام، فأبىٰ عليه عُبَّادُ الصَّليب، فخافهم علىٰ نفسه، وضنَّ بِمُلْكِهِ مع علمه بأنَّه سَيُنْقَلُ عنه إلىٰ رسول الله ﷺ وأمَّتِهِ، ونحن نسوقُ قصَّتَه.

ففي «الصحيحين» من حديث عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ أنَّ أبا سفيان أخبره مِنْ فِيه إلىٰ فِيهِ، قال: انطلقتُ في المُدَّةِ التي كانت بيني وبين رسول الله[1] ﷺ، قال: فَبَيْنَا أنا بالشَّام إذْ جِيءَ بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلىٰ هِرَقْلَ، وقد كان دِحْيَةُ بنُ خَلِيفَةَ جاء به، فدفعه إلىٰ عظيم بُصْرَىٰ[2]، فدفعه عظيم بُصْرىٰ إلىٰ هِرَقْلَ، فقال هِرَقْلُ: هل هَاهُنَا أحدٌ مِنْ قومِ هذا الرَّجُل[3] الذي يزعُم أنَّه نبيٌّ؟ قالوا: نعم. قال: فَدُعِيتُ في نَفَرٍ من قريشٍ، فدَخلنا علىٰ هِرَقْل، فأجْلَسَنَا بين يديه، وأجلسوا أصحابي خَلْفِي[4]، فدعا بِتَرْجُمَانِهِ، فقال: قلْ لهم: إني سائلٌ هذا عن الرَّجل الذي يَزْعُمُ أنَّه نبيٌّ، فإنْ كَذَبَنِي فكذِّبوه، فقال أبو سفيان: وَايْمُ اللهِ، لولا مَخَافَةُ أَنْ يُؤْثَرَ عليَّ

---

(١) يريد مصالحته مع أهل مكة سنة الحديبية عشرة أعوام إلىٰ أن نقضوا عليه فكان سبب غزوة الفتح.

(٢) بُصرىٰ: بضم أوله وإسكان ثانيه وفتح الراء المهملة: مدينة حَوْران بالشام من أعمال دمشق. «معجم ما استعجم» (١/ ٢٥٣) «معجم البلدان» (١/ ٥٢٢).

(٣) دليل علىٰ أن قوم الرجل أعلم به وبما يشينه ويلحق به؛ لقربه منهم.

(٤) قيل: إنما أجلسهم خلفه لئلا يستحيوه بالمواجهة إن كَذَبَ، وفيه أن خبر الجماعة أوقع في النفوس من خبر الواحد.

الكَذِبُ لَكَذَبْتُ[(١)].

ثم قال لترجمانه: سَلْهُ كيف حَسَبُه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حَسَبٍ. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكَذِب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: ومَنِ اتَّبعَه؟ أشرافُ الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: لا، بل يزيدون، قال: فهل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل في سَخْطَةً له؟ قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قلتُ: نعم، قال: فكيف كان قتالُكم إيَّاهُ؟ قال: قلت: تكونُ الحربُ بيننا وبينه سِجَالًا، يُصِيب منَّا ونُصِيب منه، قال: فهل يَغْدِرُ؟ قلت: لا، ونحن منه في مُدَّةٍ ما ندري ما هو صَانِعٌ فيها.

قال: فوالله ما أمْكَنَنِي من كلمة أُدْخِلُ فيها شيئًا غيرَ هذه.

قال: فهل قال هذا القولَ أحدٌ قَبْلَه؟ قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إنِّي سألتُك عن حَسَبِهِ، فزعمتَ أنَّه فيكم ذو حَسَبٍ، وكذلك الرُّسُل تُبْعَثُ في أحساب قومها[(٢)].

وسألتك: هل كان في آبائه مَلِكٌ؟ فزعمتَ أنْ لا، فقلتُ: لو كانَ في آبائه مَلِكٌ لقلتُ: رجلٌ يطلب مُلْكَ آبائه.

وسألتُك عن أتْبَاعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرُّسل[(٣)].

---

(١) دليل علىٰ أن الكذب مذموم مهجور في الجاهلية والإسلام.

(٢) لأن ذوي الأحساب أحفظ علىٰ تدنيس أحسابهم بما لا يليق بهم.

(٣) الضعفاء هم أتباع الرسل دون أشرافهم؛ لأن صاحب الرياسة والشرف يأبىٰ من انحطاطه لغيره وتسويد غيره عليه برياسة، وأنفسهم تأنف من الاتباع،

وسألتُك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقد عرفتُ أنَّه لم يكن لِيَدَعَ الكَذِبَ علىٰ النَّاس ثم يذهبَ فيكذبَ علىٰ الله عز وجل.

وسألتُك: هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخله سَخْطَةً له؟ فزعمتَ أن لا، وكذلك الإيمانُ إذا خالطتْ بشاشَتُه القلوبَ[1].

وسألتُك: هل يزيدونَ أم ينقصونَ؟ فزعمتَ أنَّهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتىٰ يَتِمَّ.

وسألتُك: هل قَاتَلْتُمُوه؟ فزعمتَ أَنكم قاتلتموه فتكون الحربُ بينكم وبينه سِجَالًا[2] ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرُّسل تُبْتَلَىٰ، ثم تكونُ لها العاقبةُ.

وسألتُك: هل يَغْدِرُ؟ فزعمت أنه لا يَغْدِر، وكذلك الرُّسل لا تَغْدِرُ[3].

وسألتُك: هل قال هذا القولَ أحدٌ قبله؟ فزعمت أنْ لا، فقلتُ: لو قال هذا

=

إلا من هداه الله سبحانه لرشده، والضعفاء ليس عليهم معنىٰ للشيطان من ذلك، فكانوا أقبلَ للاتباع وأطوع للهدىٰ من أولئك، وأعدم لأسباب الأنفة والحسد في الظهور منهم.

(١) أصل البشاشة: اللطف بالرجل وتأنيسه، يقال: بش وبشبش، وهذه الرواية أصح من رواية «بشاشة القلوب». قاله القاضي عياض.

(٢) أي مرة لنا ومرة علينا، وأصله أن المُسْتَقِين بالسَّجل يكون لكل واحد منهم سَجل، والسَّجل الدَّلو الملأىٰ ماءً، ويُجمع علىٰ سجال. «النهاية» (١/ ٧٥٦- ٧٥٧) مادة «سجل».

(٣) لأنها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يبالي طالبه بالغدر، بخلاف من طلب الآخرة.

القولَ أحدٌ مِنْ قبله قلتُ: رجل ائتمَّ بقولٍ قيل قَبْلَه.

ثم قال: فَبِمَ يأمُركم؟

قلتُ: يأمرنا بالصَّلاةِ والزكاةِ والصِّلَة والعَفافِ.

قال: إنْ يكن ما تقولُ حَقًّا إنَّه لنبيٌّ، وقد كنتُ أعلم أنَّه خارجٌ، ولكن لم أكنْ أظنُّه منكم، ولو أعلم أنّي أَخْلُصُ إليه لأَحْبَبْتُ لقاءَه، ولو كنتُ عنده لغَسَلْتُ عن قَدَمَيْهِ، ولَيَبْلُغَنَّ مُلْكُه ما تحتَ قَدَمَيَّ.

ثم دعا بكتاب رسولِ الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ (رسول الله) إلىٰ هِرَقْلَ عظيم الرُّوم**[1]**، سلامٌ علىٰ من اتَّبَعَ الهدىٰ، أما بعد؛ فإنِّي أدعوك بِدِعَايَةِ الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، أَسلمْ يُؤْتِك الله أجرَك مَرَّتَيْن، وإن تولَّيْتَ فإنَّ عليك إثم الأَرِيسِيِّيْنَ**[2]، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾[3].

---

(١) أي الذي تُعَظِّمه الروم، ولم يقل له: إلىٰ ملك الروم، لما تحت هذه الكلمة من المعاني التي لا يستحقها إلا من أوجبها له الإسلام، ولما فيه من التسليم له بالملك لهم، لكنه لم يُخْلِهِ من المَبَرَّة والتكريم بما تقدم من مخاطبته بعظيم الروم تأليفًا وحسن أدب وتليينًا وتأنيسًا علىٰ الإسلام.

(٢) اختلفوا علىٰ أقوال؛ أصحها وأشهرها أنهم الفلاحون والزراعون، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبه بهؤلاء علىٰ جميع الرعايا؛ لأنهم الأغلب، ولأنهم الأسرع انقيادًا، فإذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع امتنعوا.

(٣) آل عمران، آية: (٦٤).

فلما فَرَغَ من قراءة الكتاب ارتفعتِ الأصواتُ عنده، وكَثُرَ اللَّغَطُ، وأُمِرَ بنا فَأُخْرِجْنَا... ثم أَذِن هِرَقْلُ لعظماء الرُّوم في دَسْكَرَةٍ له بحِمْصَ، ثم أمر بأبوابها فَغُلِّقت، ثم اطَّلَعَ فقال: يا مَعْشَرَ الرُّوم، هل لكم في الفلاح والرُّشْد، وأنْ تَثْبُتَ مملكتُكم[1]، فتُبَايِعُوا هذا النبيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ[2] إلىٰ الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقَتْ، فلما رأىٰ هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وأَيِسَ من الإيمان قال: رُدُّوهم عليَّ، فقال: إنِّي قلتُ مقالتي آنِفًا أختبرُ بها شِدَّتكم علىٰ دينكم، فقد رأيتُ، فسجدوا له ورَضُوا عنه[3].

فهذا ملك الروم، وكان من علمائهم أيضًا، عرف وأقرَّ أنَّه نبيٌّ، وأنَّه سيملك ما تحت قدميه، وأحبَّ الدُّخولَ في الإسلام، فدعَا قومَه إليه، فولَّوا عنه معرضين، كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرةٌ فَرَّتْ من قَسْوَرَةٍ، فمنعه من الإسلام الخوفُ علىٰ مُلْكِهِ ورياسته، ومَنَعَ أشْبَاهَ الحمير ما منع الأُمَمَ قبلَهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) لأنهم إن تمادوا علىٰ الكفر كان سببًا لذهاب ملكهم كما عرف هو ذلك من الأخبار السابقة.

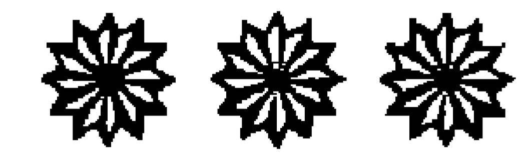
(٢) حاصوا: أي نفروا، وشبههم بالوحوش لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية، وشبههم بالحمر دون غيرها من الوحوش لِمُناسبةِ الجهل وعدم الفطنة، بل هم أضل.

(٣) رواه البخاري برقم (٧) و(٢٩٤٠)، ومسلم برقم (١٧٧٣)، والتعليقات علىٰ الحديث التي لا إحالة عليها مستفادة من «إكمال المعلم» (٦/ ١١٧- ١٢٤) لعياض و«شرح النووي» (١٢/ ١٠٣ - ١١١)، و«فتح الباري» (١/ ٤٥- ٦٠).

[موقف جمهور الناس من دعوة محمد ﷺ]

ونحن إنما ذكرْنَا بعضَ ملوكِ الطَّوائفِ الذين آمنوا به، وأكابر علمائهم وعظمائهم، ولا يمكننا حَصْرُ مَنْ عداهم، وهم جمهورُ أهل الأرض، ولم يتخلَّفْ عن متابعته إلا الأقَلُّون، وهم: إمَّا مُسالِمٌ له قد رَضِي بالذلَّة والجزية والهوان، وإمَّا خائفٌ منه؛ فأهْلُ الأرض معه ثلاثةُ أقسامٍ: مسلمون، ومُسَالِمُونَ له، وخَائِفُونَ مِنْه.

ولو لم يسلم من اليهود في زمنه إلا سَيِّدُهم علىٰ الإطلاق وابنُ سيِّدِهم، وعالمُهم وابنُ عالمهم باعترافهم له بذلك وشهادتهم: عَبْدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ، لكان في مقابلة كلِّ يهوديٍّ علىٰ وجه الأرض، فكيف وقد تابعه علىٰ الإسلام من الأحبار والرهبان مَنْ لا يُحْصي عدَدَهُمْ إلا الله؟!



[إسلام سيد اليهود عبد الله بن سلام]

ونحن نذكر قصة عبد الله بن سلام:

فروىٰ البخاريُّ في «صحيحه» من حديث عبدِ العزيز بنِ صُهَيْبٍ، عن أنس بن مالكٍ، قال: أَقْبَلَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ المدينة، فقالوا: جاء نبيُّ الله، فَاسْتَشْرَفُوا ينظرون إذْ سمع به عبدُ الله بنُ سَلَام، وهو في نخلٍ لأهله يَخْتَرِفُ لهم منه، فَعَجِلَ أنْ يضع الذي يَخْتَرِفُ لهم فيها[1]، فجاء وهي معه[2]، فسمع من نبيِّ الله ﷺ، ثم رجع إلىٰ أهله، فلما خَلَا نبيُّ الله ﷺ جاء عبدُ اللهِ بنُ سلام، فقال: أشهد أَنَّك نبيُّ الله حقًّا، وأَنَّك جئتَ بالحقِّ، ولقد عَلِمَتِ اليهودُ أَنِّي سَيِّدُهُم وابنُ سيِّدِهم، وأَعْلَمُهُمْ وابنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فاسأَلْهُمْ عنِّي قَبْلَ أن يعلموا أنِّي قد أسلمتُ، فإنهم إنْ يعلمُوا أنِّي قد أسلمتُ قالوا فِيَّ ما ليس فِيَّ.

فأرسل نبيُّ الله ﷺ إليهم، فدخلوا عليه[3]، فقال لهم نبي الله ﷺ: «**يا مَعْشَرَ اليهود، ويلكم! اتَّقُوا اللهَ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنَّكم لتعلمونَ أنِّي رسولُ الله حقًّا، وأنِّي جِئْتُكُم بحقٍّ، أسلمُوا**».

قالوا: ما نعلمه، فأعادها عليهم ثلاثًا وهم يُجِيبُونَه كذلك.

قال: «**أيُّ رجلٍ فيكمِ عبدُ الله بنُ سلام؟**». **قالوا**: ذاك سَيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا،

---

(١) يخترف بالخاء المعجمة والفاء؛ أي: يجتني من الثمار. «النهاية» (١/ ٤٨٣) مادة «خرف».

(٢) أي الثمرة التي اجتناها.

(٣) أي بعدما اختبأ لهم عبد الله بن سلام.

وأَعْلَمُنَا وابنُ أعلمِنَا. قال: «أفرأيْتُم إنْ أسْلَمَ؟» قالوا: حاش لله، ما كان لِيُسْلِم.

فقال: «يابنَ سلام، اخْرُجْ عليهم»، فخرج إليهم فقال: يا مَعْشَرَ اليهود، ويلكم! اتَّقُوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لَتَعْلَمُون أنَّه رسولُ الله حَقًّا، وأنَّه جاء بالحقِّ، فقالوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمُ النبيُّ ﷺ[1].

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضًا من حديث حُمَيْدٍ، عن أنسٍ، قال: سمع عبدُ الله بنُ سلام بقدوم رسولِ الله ﷺ وهو في أرضٍ له، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إنّي سائِلُك عن ثلاثٍ، لا يعلمُهُنَّ إلا نبيٌّ، ما أولُ أشراطِ الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما يَنْزِعُ الولدُ؟ إلىٰ أبيهِ أو إلىٰ أمِّهِ[2]؟ قال: «أخْبَرَني بهنَّ جبريل آنفًا». قال: جبريل؟ قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: ثم قرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3] «أما أول أشراطِ الساعة فنارٌ تخرج علىٰ النَّاس من المشرِق إلىٰ المغربِ، وأمَّا أول طعام يأكلُه أهلُ الجنة فزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ[4]، وإذا سَبَقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأةِ نَزَعَ الولدُ إلىٰ أبيه، وإذا سبقَ ماءَ المرأة ماءَ الرَّجل نَزَعَ الولدُ إلىٰ أمِّه».

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّك رسولُ الله، إنَّ اليهود قومٌ بُهتٌ[5]،

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٩١١)، والتعليق من «فتح الباري» (٧/ ٢٩٦-٢٩٨).

(٢) من حيث الشبه.

(٣) البقرة، آية: (٩٧).

(٤) زيادة الكبد هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها وهي في غاية اللذة. قاله العيني في «العمدة» (١٥/ ٢٩٠).

(٥) البُهت: الكذب والافتراء، ومنه حديث الغيبة: «وإن لم يكن فيه ما تقول فقد =

وإنَّهم إنْ يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بَهَتُوني، فجاءتِ اليهودُ إليه، فقال: «أيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ سلام؟». قالوا: خيرُنَا وابنُ خيرِنَا، وسيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، قال: «أرأيتم إنْ أسْلَمَ عبد الله بنُ سلام؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسولُ الله، قالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، وانتقصوه، قال: هذا الذي كنتُ أخاف يا رسولَ الله [١].

وفي «مسند الإمام أحمد» وغيره، عنه قال: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وانجَفَل [٢] النَّاس قِبَلَهُ، فقالوا: قَدِمَ رسول الله ﷺ، قال: فجئت في النَّاس لأنظر إلىٰ وجهه، فلما رأيتُ وجهه عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذَّابٍ، فكان أول شيءٍ سمعته منه أن قال: «**يا أيُّها الناس، أطْعِمُوا الطَّعام، وأفْشُوا السَّلامَ، وصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا والناسُ نِيَامٌ، تدخلوا الجنَّة بسلامٍ**» [٣].

فعلماء القوم وأحبارهم كلُّهم كانوا كما قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [٤]، فمنهم من آثر الله ورسوله والدارَ الآخرة، ومنهم

= بهته»، أي: كذبت وافتريت عليه. «النهاية» (١/ ١٦٧) مادة «بَهَتَ».

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٨٠).

(٢) أي: ذهبوا مسرعين نحوه، يقال: جَفَلَ وأجفل وانجفل. «النهاية» (١/ ٧٣). مادة «جَفَلَ».

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٥١)، والترمذي برقم (٢٤٨٥)، وابن ماجه برقم (١٣٣٤)، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

(٤) البقرة، آية: (١٤٦).

من آثر الدنيا وأطاعَ داعِيَ الحسد والكِبْر.

ومن المعلوم بالضَّرورةِ: أنَّ محمدَ بنَ عبدِ الله - صلوات الله وسلامه عليه - نادىٰ مُعْلِنًا في هاتين الأمَّتين[1] اللَّتين هما أعلم الأمم في الأرض قبل مبعثه، بأنَّ ذِكْره ونَعْتَه وصفَته بعينِه، عندهم في كتبهم، وهو يتلو ذلك عليهم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا في كلِّ مجمع، وفي كلِّ نادٍ، يدعوهم بذلك إلىٰ تصديقه والإيمانِ به؛ فمنهم من يصدِّق ويؤمن به، ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره كما سيمر بك إن شاء الله.

وغايةُ المكذِّب الجاحدِ أنْ يقولَ: هذا النَّعْتُ والوصفُ حقٌّ، ولكن لستَ أنت المراد به، بل نبيٌّ آخر!

وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة، ولم تُجْدِ عليه هذه المكابرة إلا كشفه عورته وإبداءه الفضيحة بالكذب والبُهْتَان، فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حَذْوَ القُذَّةِ بالقَذَّةِ، بحيث لا يشكُّ من عرفها ورآه أنَّه هو، كما عرفه قَيْصَرُ وسَلْمانُ بتلك العلامات المذكورات التي كانت عنده من بعض علمائه، وكذلك هِرَقْلُ عَرَفَ نُبوَّتَه بما وُصِفَ له من العلامات التي سألَ عنها أبا سفيان، فطابقت ما عنده، فقال: إنْ يَكُنْ ما تقولُ حقًّا فإنَّه نبيٌّ، وسيملك ما تحت قدميَّ هاتين.

وكذلك مَنْ قدَّمْنا ذكرهم من الأحبار والرُّهبان الذين عرفوه بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم. قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾[2].

---

(١) اليهود والنصارىٰ.

(٢) البقرة، آية: (١٤٦).

وقال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

ومعلومٌ أنَّ هذه المعرفة إنما هي بالنَّعتِ والصِّفَةِ المكتوبةِ عندهم التي هي منطبقة عليه، كما قال بعض المؤمنين منهم: والله لأَحَدُنا أعرفُ به من ابنه، إنَّ أحدنا لَيَخْرجُ من عند امرأته، وما يدري ما يحدثُ بعده. ولهذا أثنىٰ الله سبحانه علىٰ من عَرَفَ الحقَّ منهم، ولم يستكبر عن اتِّباعه، فقال:

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾[2].

قال ابنُ عبَّاسٍ: لما حضرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ بين يدي النَّجاشيِّ وقرءوا القرآن، سمع ذلك القِسِّيسُونَ والرُّهبان فانحدرتْ دموعهم مما عَرَفُوا من الحق، فقال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الآيات[3].

والمقصود: أنَّ هؤلاء الذين عرفوا أنه رسول الله بالنَّعت الذي عندهم، فلم

---

(١) الأنعام، آية: (٢٠).

(٢) المائدة، آية: (٨٢- ٨٦).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٧٦) ط. دار إحياء التراث.

يملكوا أعينَهُم من البكاء، وقلوبَهُم من المبادرة إلىٰ الإيمان.

ونظيرُ هذا: قولُه سبحانه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

إنَّ عبد الله بن سلام قد قابل اليهود وأوقفهم بين يدري رسول الله ﷺ علىٰ أنَّ ذِكْرَه ونعته وصفته في كتبهم، وأنهم يعلمون أنه رسول الله، وقد شهدوا بأنه أعلمُهم وابنُ أعلمِهِمْ وخيرُهم وابنُ خَيْرِهم. فلم يضرَّ قولُهم بعد ذلك إنّه شرُّهم وابنُ شرِّهم وجاهلُهم وابنُ جاهلِهِم، كما إذا شهد علىٰ رجلٍ شاهدٌ عند الحاكم، فسأله عنه فعدَّلَه وقال: إنه مقبول الشهادة عَدْل رضي لا يشهد إلا بالحقِّ، وشهادته جائزة عليَّ. فلما أدَّىٰ الشهادة قال: إنه كاذبٌ شاهدُ زورٍ. ومعلومٌ أنَّ هذا لا يقدح في شهادته.

إنَّ عبد الله بن سلام وذويه إنما أسلموا في وقتٍ شدَّةٍ من الأمر وقلةٍ من المسلمين وضعفٍ وحاجةٍ، وأهلُ الأرضِ مُطْبِقونَ علىٰ عداوتهم، واليهودُ والمشركون هم أهل الشوكة والعُدَّة والحَلْقة والسلاح، ورسولُ الله ﷺ وأصحابه إذ ذاك قد أَوَوا إلىٰ المدينة، وأعداؤهم يتطلبونهم في كل وجه، وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم، فخرج رسول الله ﷺ وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثًا في غار تحت الأرض، ثم خرجوا بعد ثلاث علىٰ غير الطريق إلىٰ أن قدموا المدينة[2]،

---

(١) الإسراء، آية: (١٠٧ - ١٠٩).

(٢) أما عن هجرته ﷺ فتروي لنا أُمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها شيئًا من بداية هجرته ﷺ مع رفيق دربه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتقول: «فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ =

أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ.

ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّىٰ يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ... [1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٥).

=

يقول أبو بكر ﷺ: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: **«ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما»**[1].

الخروج من مكة إلى المدينة:

ولما هدأت الأمور وانقطع الطلب انطلق النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينة.

تقول أم المؤمنين عائشة ﷺ: واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا خرِّيتًا - والخرِّيت الماهر بالهداية -، قد غمس حِلْفًا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو علىٰ دين كفار قريش، فأمِنَاهُ، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل[2]. ويروي لنا الصديق ﷺ شيئًا من ذلك فيقول: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّىٰ أَظْهَرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَىٰ مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ؟ فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا، فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي، هَلْ أَرَىٰ مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا؟ فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَقَلَ ....

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٠٥).

=

...شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ فَقَالَ هَكَذَا - ضَرَبَ إِحْدَىٰ كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَىٰ-، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَىٰ فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَىٰ اللَّبَنِ حَتَّىٰ بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «بَلَىٰ»، فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَىٰ فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

أما طلب المشركين وبحثهم عن رسول الله وصاحبه: فيتحدث عن ذلك سراقة، فيقول: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةً، كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ إذ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ. فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا..........

(١) التوبة، آية: (٤٠). والحديث رواه البخاري برقم (٣٦٢٥)، ومسلم برقم (٢٠٠٩).

...تُقَرِّبُ بِي، حَتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ، فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَىٰ كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي - وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ - تُقَرِّبُ بِي، حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي، وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «**أَخْفِ عَنَّا**» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدَمٍ، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1].

فجعل لا يلقىٰ أحدًا إلا قال: كفيتكم ما هنا، فلا يلقي أحدًا إلا ردَّه[2].

أما الطريق التي سلكها ﷺ هو وصاحبه رضي الله عنه فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قائلة: لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجرًا ومعه أبو بكر وعمر بن فهيرة مردفه أبو بكر وخلفه عبد الله بن أُريقط الليثي فسلك بهما أسفل من مكة،

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٠٦).

(٢) البخاري برقم (٣٦١٥).

=

ثم مضىٰ بهما حتىٰ هبط بهما علىٰ الساحل أسفل من عسفان، ثم استجاز بهما علىٰ أسفل أمج، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديدًا، ثم سلك بهما الحجاز، ثم أجاز بهما ثنية المرار، ثم سلك بهما الحفياء، ثم أجاز بهما مدلجة ثقف، ثم استبطن بهما مدلجة صحاح، ثم سلك بهما مذحج، ثم بطن مذحج من ذي الغصن، ثم بطن كشد، ثم أخذ الجباجب، ثم سلك ذي سلم من بطن أعلىٰ مدلجة، ثم أخذ القاحة، ثم هبط العرج، ثم سلك ثنية الغائر عن يمين ركوبه، ثم هبط بطن ريم، فقدم قباء علىٰ بني عمر بن عوف[1].

وكان الرجل يلقىٰ أبا بكر رضي الله عنه، فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك، فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير...[2].

وفي طريقه ﷺ إلىٰ المدينة مر بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنّتين، فنظر رسول الله ﷺ إلىٰ شاة في كسر الخيمة فقال: **«ما هذه الشاة يا أمَّ معبد»**. قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: **«هل بها من لبن»**. قالت: هي أجهد من ذلك، قال: **«أفتأذنين لي أن أحلبها»**، قالت: بأبي أنت وأمي، نعم، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح ضرعها بيده، وسمَّىٰ الله عز وجل، ودعا

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٨) بإسناد حسن..

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩١١).

=

لها في شأنها؛ فتفاجت عليه ودرت واجترت، فدعا بإناءٍ يربض الرهط، فحلب فيه ثجًّا حتىٰ علاه البهاء، ثم سقاها حتىٰ رويت، وسقىٰ أصحابه حتىٰ رووا، وشرب آخرهم حتىٰ أراضوا، ثم حلب فيه الثانية علىٰ هدة حتىٰ ملأ الإناء، ثم غادروه عندها، وبايعها وارتحلوا عنها، فقل ما لبثت حتىٰ جاءها زوجها أبو معبد ليسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزالًا مُخُّهُنَّ قليل، فلما رأىٰ أبو معبد اللبن أعجبه، قال: من أين لكِ هذا يا أُم معبد والشاء عازب حائل ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.

قال: صِفِيه لِي يا أُمَّ معبد.

قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزريه صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نذر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلىٰ أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد

والشوكةُ والعَدد والعُدّة فيها لليهود والمشركين، فأسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبي ﷺ المدينة لما رأىٰ أعلام النبوة التي كان يعرفها وشاهدها فيه، وتَرَكَ الأغراضَ التي منعتِ المغضُوبَ عليهم من الإسلام؛ من الرياسة والمال والجاه بينهم. وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله ﷺ أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم، فَعَلِم أنهم إنْ علموا بإسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة، فأحبَّ أن يعلم

= همت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلىٰ ذلك سبيلًا...»[1].

وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كلَّ غداةٍ إلىٰ الحرَّة فينتظرونه، حتىٰ يردهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أوَوا إلىٰ بيوتهم أوْفىٰ رجلٌ من يهودَ علىٰ أُطُم من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه، فَبَصُرَ برسول الله وأصحابه مبيِّضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلىٰ صوته: يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلىٰ السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ...»[2]، فهذه هي هجرته ﷺ حتىٰ وصل إلىٰ المدينة، ولمزيد من الفائدة انظر كتابي «نثر الجواهر المضية علىٰ كتاب أمالي في السيرة النبوية» صـ (٨٠، ٩٣).

---

(١) رواها الحاكم (٣/ ٩- ١٠)، والطبراني (٤/ ٥٦)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٣٠)، ولها طرق ترتقي إلىٰ الحسن، وقد صححها الحاكم، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٠٩): وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضًا، وانظر «السيرة» (١/ ٢١٣ - ٢١٤) للعمري.

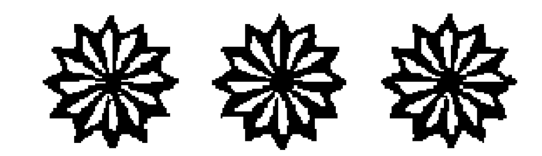
(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٠٦)، والحاكم (٣/ ١١).

رسولُ الله ﷺ بذلك، فقال: أدْخِلْني بعضَ بيوتك وسَلْهم عنِّي، ففعل، وسألهم عنه؛ فأخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم، فخرج عليهم وذكَّرهم وأوقفهم علىٰ أنهم يعلمون أنه رسول الله، وقابلهم بذلك، فسبُّوه وقدحوا فيه وأنكروا رياسته وسيادته وعلمه.

فلو كان عبدُ الله بن سلام ممن يؤثر عَرَضَ الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمةُ الغضب والقومُ البُهُتُ.

وهكذا شأن من أسلم من اليهود حينئذ.

وأما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته، وقال: إن هؤلاء القوم قد عظَّمونا ورأسونا وموَّلونا، فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كلَّه منا، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عيانًا.



[مناظرة ابن القيم أحد علماء النصارى]

ولقد ناظرتُ بعض علماء النصارىٰ معظم يوم، فلما تبيَّن له الحقُّ بُهِتَ، فقلت له - وأنا وهو خاليين -: ما يمنعك الآن من اتِّباع الحقِّ؟

فقال لي: إذا قدمت علىٰ هؤلاء الحمير - هكذا لفظه - فرشوا لنا الشِّقاق تحت حوافر دابَّتي، وحكَّموني في أموالهم ونسائهم، ولم يعصوني فيما آمرهم به، وأنا لا أعرف صَنْعة، ولا أحفظ قرآنًا ولا نحوًا ولا فقهًا، فلو أسلمتُ لدُرْتُ في الأسواق أتكفَّف الناس، فمن الذي يطيب نفسًا بهذا؟!

فقلت: هذا لا يكون، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه علىٰ هواك يخزيك ويُذِلُّك ويحوجك؟!

ولو فرضنا أنَّ ذلك أصابك، فما ظفرتَ به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتمُّ العِوَض عما فاتك.

فقال: حتىٰ يأذن الله.

فقلت: القَدَرُ لا يُحْتَجُّ به، ولو كان القدر حُجَّةً لكان حجةً لليهود علىٰ تكذيب المسيح، وحجةً للمشركين علىٰ تكذيب الرسل، ولا سيما أنتم تكذِّبون بالقدر، فكيف تحتجُّ به؟

فقال: دعنا الآن من هذا. وأمْسَكَ.

فصلوات الله وسلامه علىٰ مَنْ جاء بالهدىٰ والنُّورِ وتَفْصِيلِ كلِّ شيء وبيانِهِ، فأهلُ الكتاب عندهم عن أنبيائهم حقٌّ كثير، لا يعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه.

ولقد أكمل الله سبحانه بمحمدٍ - صلوات الله وسلامه عليه - ما أنزله علىٰ الأنبياء - عليهم السلام - من الحقِّ وبيَّنه وأَظْهَرَه لأمته، وفَصَّل علىٰ لسانه ما أجمله لهم، وشرح ما رَمَزُوا إليه، فجاء بالحقِّ وصدَّق المرسلين، وتمت به نعمة الله علىٰ عباده المؤمنين.

مشاكل الدعوة والدعاة
في العصر الحديث

للعلامة
محمد أمان بن علي الجامي
المتوفى سنة ١٤١٦هـ رحمه الله

اعتنى بهما وعلق عليهما وخرج أحاديثهما
أبو همام
محمد بن علي الصومعي البيضاني
غفر الله له بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن الداعي إلىٰ الله لا بد أن يجد في طريقه عوائق ومشاكل؛ من سخرية، واستهزاءٍ، وَرَدٍّ للحق الذي يدعو إليه، بيد أنه يهون ذلك عليه عندما يعلم أن أنبياء الله ورسله قد تعرضوا لأشد مما يتعرض له هو في دعوته؛ لذا قال تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾[1].

وقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[2].

وهذه الرسالة التي بين أيدينا تتكلم عن شيءٍ من المشاكل التي واجهها الدعاة إلىٰ الله، وعلىٰ رأسهم الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

وهي للعلامة الأثري محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عرض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك عرضًا سريعًا، ثم ربط بين ماضي تلكم الدعوات وحاضرها، وقارن بين تلك المشاكل والمحن المحدقة بالدعوة والدعاة، ثم تعرض لبعض نوعية تلك المشاكل في الماضي والحاضر، وذكر من المشاكل التي تواجه الدعوة في العصر الحديث ستًّا، وهي:

---

(١) الأنعام، آية: (٣٤).
(٢) الأنعام، آية: (١٠).

١- الجهل.

٢- التناقض.

٣- النفرة وعدم الانسجام بين الدعاة.

٤- المناهج التعليمية.

٥- بعض الطوائف المنحرفة التي تعمل باسم الإسلام.

٦- الاستعمار الغربي.

ثم تطرق لدعوة المصلح الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وتكلم عن أمور منها:

(١) نجاح تلك الدعوة.

(٢) النواحي التي ركزت عليها.

(٣) أعداؤها.

(٤) عاقبة تلك الدعوة، وما لها من مراكز قوية في بعض العواصم.

(٥) ذكر قصة لأحد المعاندين لهذه الدعوة وسبب رجوعه وهدايته لقبول الحق.

هذه هي خلاصة ما تحمله هذه الرسالة.

عملي في هذه الرسالة:

أما بالنسبة لما قمت به؛ فهو كالتالي:

١- علقت عليها بتعليقات مفيدة تتم بها الفائدة.

٢- خرَّجت الأحاديث.

٣- ترجمت للأعلام المذكورين.

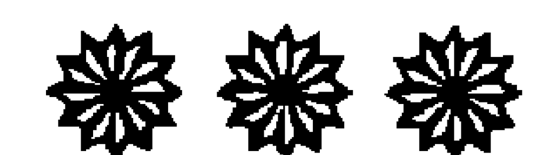
٤- عزوت الأقوال التي ذكرها عن أصحابها إلىٰ مظانها التي ذُكِرَتْ فيها.

٥- ترجمت للمؤلف رحمه الله.

هذا، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يغفر للمؤلف، وأن يرحمه، ويجمعنا وإياه في جنته، إنه خير مسئول.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.



ترجمة فضيلة العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

هو: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامذي علي.

موطنه ومولده:

الحبشة، منطقة هرر، قرية «طغا طاب»، وُلد- كما هو مدوَّن في أوراقه الرسمية - سنة ١٣٤٩هـ.

*** طلبه للعلم:**

أ - طلبه للعلم في الحبشة:

نشأ الشيخ في قرية «طغا طاب»، وفيها تعلم القرآن الكريم، وبعدما ختمه شرع في دراسة كتب الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ودرس العربية في قريته أيضًا علىٰ الشيخ محمد أمين الهرري، ثم ترك قريته - علىٰ عادة أهل تلك الناحية - إلىٰ قرية أخرىٰ، وفيها التقىٰ مع زميل طلبه وهجرته إلىٰ البلاد السعودية الشيخ عبد الكريم، فانعقدت بينهما الأخوة الإسلامية، ثم ذهبا معًا إلىٰ شيخ يُسمىٰ: الشيخ موسىٰ، ودرسا عليه «نظم الزبد» لابن رسلان، ثم درسا متن «المنهاج» علىٰ الشيخ أبادر، وتعلما في هذه القرية عدة فنون.

ثم اشتاقا إلىٰ السفر للبلاد المقدسة مكة المكرمة؛ للتعلم، وأداء فريضة الحج، فخرجا من الحبشة إلىٰ الصومال، فركبا البحر متوجهين إلىٰ عدن - حيث واجهتهما مصاعب ومخاطر في البحر والبر - ثم سارا إلىٰ الحُدَيدة سيرًا علىٰ الأقدام، فصاما شهر رمضان فيها، ثم غادرا إلىٰ السعودية، فمرا بصامطة، وأبي عريش؛ حتىٰ حصلا علىٰ إذن الدخول إلىٰ مكة، وكان هذا سيرًا علىٰ الأقدام.

وفي اليمن حذرهما بعض الشيوخ فيها من الدعوة السلفية، التي يطلقون عليها: الوهابية.

ب - طلبه للعلم في السعودية:

بعد أداء الشيخ فريضة الحج عام (١٣٦٩هـ)؛ بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلبه للعلم بالمسجد الحرام في حلقات العلم المبثوثة في رحابه، واستفاد من فضيلة الشيخ/ عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفضيلة الشيخ/ عبد الحق الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفضيلة الشيخ/ محمد عبد الله الصومالي، وغيرهم.

وفي مكة تعرَّف علىٰ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصَحِبهُ في سفره إلىٰ الرياض؛ لما افتُتح المعهد العلمي، وكان ذلك في أوائل السبعينيات الهجرية.

وممن زامله في دراسته الثانوية بالمعهد العلمي: فضيلة الشيخ/ عبد المحسن بن حمد العباد، وفضيلة الشيخ/ علي بن مهنا، القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرىٰ بالمدينة سابقًا؛ كما أنه لازم حِلَق العلم المنتشرة في الرياض، فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلَّامة الفقيه الأصولي الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ/ عبد الرحمن الإفريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما لازم سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فنهل من علمه الجم، وخُلُقهِ الكريم.

كما أخذ العلم بالرياض علىٰ فضيلة الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفضيلة الشيخ العلَّامة المحدِّث/ حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتأثر المُتَرجم له بالشيخ/ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا؛ حتىٰ في أسلوب تدريسه، كما استفاد وتأثر بفضيلة الشيخ العلَّامة/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث كانت بينهما مراسلات، علمًا بأن المُتَرجم له لم يدرس علىٰ الشيخ/ السعدي، كما تعلم علىٰ فضيلة الشيخ العلَّامة/ محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان متأثرًا به أيضًا، كما

استفاد من فضيلة الشيخ/ عبد الله القرعاوي رحمه الله.

مؤهلاته الدراسية:

حصل علىٰ الثانوية من المعهد العلمي بالرياض، ثم انتسب بكلية الشريعة، وحصل علىٰ شهادتها سنة (١٣٨٠ هـ) ثم معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب: (عام ١٩٧٤م)، ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة.

❋ ❋ ❋

فصلٌ في مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه

لقد كان للشيخ رحمه الله مكانته العلمية عند أهل العلم والفضل؛ فقد ذكروه بالجميل، وكان محل ثقتهم، بل بلغت الثقة بعلمه وعقيدته؛ أنه عندما كان طالبًا بالرياض، ورأىٰ شيخُه سماحةُ الشيخ/ عبد العزيز بن باز رحمه الله نجابته، وحرصه علىٰ العلم؛ قدمه إلىٰ سماحة الشيخ/ محمد بن إبراهيم رحمه الله، حيث تم التعاقد معه للتدريس بمعهد صامطة العلمي بمنطقة جازان.

وأيضًا مما يدل علىٰ الثقة بعلمه، وعقيدته، ومكانته عند أهل العلم: أنه عند افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتُدب للتدريس فيها بعد وقوع اختيار سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عليه، ومعلوم أن الجامعة الإسلامية أُنشئت لنشر العقيدة السلفية، وقد أوكَلَت الجامعة تدريس هذه العقيدة إلىٰ فضيلة المُتَرجم له بالمعهد الثانوي ثم بكلية الشريعة ثقةً بعقيدته وعلمه ومنهجه رحمه الله، وذلك ليُسهم في تحقيق أهداف الجامعة.

وإليك -أخي القارئ- كلام العلماء الثقات فيما كتبوه عن الشيخ رحمه الله:

* **سماحة الشيخ العلَّامة عبد العزيز بن باز رحمه الله:** ففي كتاب سماحة مفتي

عام المملكة العربية السعودية - رقم (٦٤) في ٩/ ١/ ١٤١٨هـ - قال عن الشيخ محمد أمان: «معروفٌ لديَّ بالعلم، والفضل، وحسن العقيدة، والنشاط في الدعوة إلىٰ الله سبحانه، والتحذير من البدع والخرافات، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، وأصلح ذريته، وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته، إنه سميع قريب».

* **فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء:** وكتب فضيلته في كتابه المؤرخ (٣/ ٣/ ١٤١٨هـ) قائلًا: «الشيخ محمد أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليلٌ منهم من يستفيد من علمه ويستفاد منه، والشيخ محمد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء، الذين سخَّروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين، وتوجيههم بالدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية، وفي المسجد النبوي الشريف، وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية، وتجواله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق، يدعو إلىٰ التوحيد، وينشر العقيدة الصحيحة، ويوجِّه شباب الأمة إلىٰ منهج السلف الصالح، ويحذِّرهم من المبادئ الهدَّامة، والدعوات المضللة، ومن لم يعرفه شخصيًّا؛ فليعرفه من خلال كتبه المفيدة، وأشرطته العديدة، التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير، ونفع كثير».

* **فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد، المدرس بالمسجد النبوي - حفظه الله -:** «عرفتُ الشيخ محمد أمان بن علي الجامي طالبًا في معهد الرياض العلمي، ثم مدرِّسًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المرحلة الثانوية، ثم في المرحلة الجامعية، عرفته حسن العقيدة، سليم الاتجاه، وله عناية في بيان العقيدة علىٰ مذهب السلف، والتحذير من البدع، وذلك في دروسه، ومحاضراته، وكتاباته، غفر الله له، ورحمه، وأجزل له المثوبة».

* **فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته، المدرس بالمسجد النبوي، ومدير شعبة دار الحديث** رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتابه المؤرخ في (٨/ ٢/ ١٤١٧هـ)، فمما جاء فيه: «وبالجملة، فلقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ صادق اللَّهجة، عظيم الانتماء لمذهب أهل السنة، قوي الإرادة، داعيًا إلىٰ الله بقوله، وعمله، ولسانه، عفَّ اللسان، قوي البيان، سريع الغضب عند انتهاك حرمات الله، تتحدث عنه مجالسُهُ في المسجد النبوي الشريف التي أدَّاها وقام بها، وتآليفه التي نشرها، ورحلاته التي قام بها، ولقد رافقته في السفر؛ فكان نعم الصديق، ورافق هو فضيلة الشيخ العلَّامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ - صاحب أضواء البيان وغيره - فكان له أيضًا نعم الرفيق. والسفر هو الذي يُظهر الرجالَ علىٰ حقيقتهم.

لا يجامل، ولا ينافق، ولا يماري، ولا يجادل، إن كان معه الدليل صدع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به، ورجع إليه، وهذا هو دأب المؤمنين؛ كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: ٥١] الآية، وأُشهدُ الله تعالىٰ أنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد أدىٰ كثيرًا مما عليه من خدمة الدين، ونشر سُنَّة سيد المرسلين، ولقد صادف كثيرًا من الأذىٰ، وكثيرًا من الكيد والمكر؛ فلم ينثن، ولم يفزع؛ حتىٰ لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله».

❁ ❁ ❁

فصلٌ في ذكر بعض مؤلفاته

منها كتاب: «الصفات الإلهية، في الكتاب والسنة النبوية، في ضوء الإثبات والتنزيه» وهو من أنفع كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكتاب: «أضواء علىٰ طريق الدعوة إلىٰ الإسلام» ويحتوي هذا الكتاب علىٰ

عدة محاضرات، فيها تقريرُ العقيدة السلفية، وعرضٌ للدعوة في إفريقيا، وذكرٌ لمشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، مع الحلول المناسبة لتلك المشاكل، ورد علىٰ الصوفية.

وكتاب: «مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة».

ورسالة بعنوان: «المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية» وهي في الأصل محاضرة ألقاها في السودان سنة (١٣٨٣هـ) وردَّ فيها علىٰ الملحد: محمود طه.

ورسالة بعنوان: «حقيقة الديمقراطية، وأنها ليست من الإسلام» وهي في الأصل محاضرة ألقاها سنة (١٤١٢هـ).

ورسالة بعنوان: «حقيقة الشورىٰ في الإسلام».

ورسالة بعنوان: «العقيدة الإسلامية وتاريخها».

❋ ❋ ❋

فصل في ذكر بعض تلاميذه

رجلٌ هذه مكانته عند ذوي العلم، وهذه جهوده في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وحبه لهذه العقيدة السلفية الخالدة، التي أوذي في سبيل نشرها وتقريرها في نفوس المسلمين، سواء في داخل المملكة أو خارجها، يصعُبُ حصر طلبته، وتلاميذه، وكان من أبرز طلبته كل من:

فضيلة شيخنا العلامة الدكتور/ ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - وفضيلة شيخنا العلَّامة/ زيد بن هادي المدخلي - حفظه الله -، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ علي بن ناصر فقيهي، المدرس بالجامعة الإسلامية، والمدرس بالمسجد النبوي — حفظه الله - وغيرهم.

بعض أخلاقه الفاضلة

١- **نصحه**: كان رَحِمَهُ اللَّهُ ناصحًا - فيما نحسب - لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، ويظهر ذلك بأدنىٰ تأمل، فقد نذر حياته في تقرير عقيدة السلف الصالح، وذلك من خلال دروسه، وتآليفه، ومحاضراته، وردوده علىٰ المخالفين للكتاب والسنة، وكان عادلًا في رده علىٰ المخالف، مجانبًا للعصبية والهوىٰ.

٢- **قلة مخالطته للناس**: كان رَحِمَهُ اللَّهُ معروفًا بقلة مخالطته للناس إلا في الخير، فأغلب أوقاته وأيامه محفوظة، وطريقته في ذلك معروفة، إذ يخرج من البيت إلىٰ العمل بالجامعة، ثم يعود إلىٰ البيت، ثم إلىٰ المسجد النبوي الشريف؛ لإلقاء دروسه بعد العصر، وبعد المغرب، وبعد العشاء، وبعد الفجر، وهكذا، إلىٰ أن لازم الفراش بسبب اشتداد المرض.

٣- **عِفة لسانه**: كان رَحِمَهُ اللَّهُ عف اللسان، لا يلمز، ولا يطعن، ولا يغتاب، بل ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحدًا بحضرته، ولا يسمح بنقل الكلام وعيوب الناس إليه، وإذا وقع بعض طلبة العلم في خطإٍ طلب الشريط، أو الكتاب، فيسمع أو يقرأ، فإذا ظهر له أنه خطأ؛ قام بما يجب علىٰ مثله من النصيحة.

٤- **عفوه وحلمه**: فبقدر ما واجه من الأذىٰ، والمحن، والكيد، والمكر، قابل من أساء إليه بالحلم والعفو، وقد كان يأتيه بعض من كان ينال من عرضه بالسب، أو الطعن، أو الافتراء، فيستسمح منه؛ فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرجو الله تعالىٰ ألا يُدخِل أحدًا النار بسببي»، ويسامح من يتكلم في عرضه، ويقول: «لا داعي لأن يأتي من يعتذر، فإني قد عفوت عن الجميع»، ويطلب من جلسائه إبلاغ ذلك عنه.

٥- **عنايته وتعهده بطلبته**: فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ من الذين يولون طلابهم عناية

خاصة لا تنتهي بانتهاء الدرس، بل كان يحضر مناسباتهم، ويسأل عن أحوالهم، ويعالج بعض مشاكلهم الأسرية، وبالجملة؛ فلقد كان يبذل ماله، وجاهه، ووقته؛ لمساعدة المحتاج منهم، وكان هذا التصرف منه يترك أثرًا بالغًا عند طلابه، فرُزق بسبب ذلك المحبة الصادقة منهم، وقد شعروا بعد موته بفراغ في هذه الناحية.

والحق: إن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ اجتمعت فيه خصالُ خيرٍ كثيرة، وما تم نقله آنفًا عن أهل العلم كافٍ، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

فصلٌ في عقيدته السلفية

مما يدل علىٰ عقيدة الشيخ السلفية: أنه كان يدرِّس كتب العقيدة السلفية، مثل: «الواسطية»، و«الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ»، و«التدمرية»، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز، و«الإيمان»، و«ثلاثة الأصول»، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، و«قرة عيون الموحدين»، و«الأصول الستة»، و«الواجبات المتحتمات»، و«القواعد المثلىٰ»، و«تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي.

وردُّه علىٰ أهل البدع؛ كالأشاعرة، والصوفية، والشيعة الروافض، وذلك في كتبه، ومقالاته، في المجلات العلمية، وفي محاضراته، ودروسه، فعلىٰ سبيل المثال؛ كتابه: «أضواء علىٰ طريق الدعوة إلىٰ الإسلام» يدل علىٰ ذلك دلالة واضحة، وأضف إلىٰ ذلك شهادة أهل العلم له بذلك؛ كما تقدم النقل عنهم.

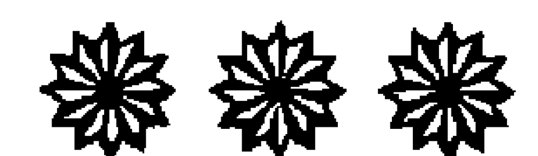
مرضه وموتُه:

لقد ابتلي في آخر عمره - رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة - بمرضٍ عُضال؛ حتىٰ ألزمه الفراش نحو عام، فصبر واحتسب، وفي صبيحة يوم الأربعاء، السادس والعشرين من شهر شعبان، سنة (١٤١٦هـ) أسلم روحه لبارئها، فصُلِّي عليه بعد

الظهر، ودُفن في بقيع الغرقد، بالمدينة النبوية.

وشهد دفنه جمعٌ كبير من العلماء، والقضاة، وطلبة العلم، وغيرهم، وبموته حصل نقص في العلماء العاملين.

فنسأل الله تعالىٰ أن يغفر له، ويرحمه، ويخلف علىٰ المسلمين عددًا من العلماء العاملين، آمين.



مقدمة

الحمد لله المنعم المتفضل، تفضل علينا بنعمة الإسلام والدعوة إليه، وصلاة الله وسلامه وبركاته علىٰ رسوله المصطفىٰ والنَّبِي المرتضىٰ نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أئمة الهدىٰ ودعاة الحق والتابعين لَهم علىٰ منهاجهم في الدعوة إِلَىٰ الله تعالىٰ.

* **وبعد:**

إن معرفة الدعاة سنة الله مع دعاة الحق قديمًا وحديثًا، وكيف امتحن الله الرسل وأتباعهم أن هذه المعرفة لَمِمَّا يخفف علىٰ الدعاة وطأة المشاكل والمحن إذا ما أوذوا في سبيل دعوتهم – ولا بد أن يؤذوا –.

ومِمَّا قاله ورقة بن نوفل لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – عندما زاره في صحبة خديجة أم المؤمنين ليخبره ما جرىٰ له في جبل حراء[1] مع جبريل مِمَّا قاله ورقة: «ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي»[2].

تلك هي سنة الله مع دعاة الحق، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، ولن تجد لسنة الله تحويلًا، لو ذهبنا لنرىٰ كيف عاشت أول رسالة إِلَىٰ أهل الأرض وهي رسالة نوح عليه السلام

---

(١) حِراء بالكسر والتخفيف والمد: حبلٌ من جبال مكة علىٰ ثلاثة أميال، وهو معروف، ومنهم من يؤنِّثه، فلا يصرفه. «معجم البلدان» (٢/ ٢٦٩)، وكان نبينا ﷺ يخلو في هذا الغار ويتعبد الله فيه كما سيأتي قريبًا.

(٢) وهو عند البخاري برقم (٣)، ومسلم برقم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ومما قاله ورقة: «ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي...».

رأينا الرسول نوحًا يقاسي من قومه صنوفًا من المشاكل؛ من سخرية السفهاء، وعناد المعاندين، وعلىٰ الرغم من ذلك نراه يجابه الجاهلية ويصدع بالحق: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾[1].

وثارت الجاهلية وعاندت وكابرت، وأخيرًا أخذ نوح يجأر إلَىٰ الله ويدعو عليهم الدعاء الأخير ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾[2].

ولو تركنا نوحًا وتمرد الجاهلية ودعاء نوح بالهلاك لترىٰ تلك المحنة الَّتِي عاشها

---

(١) نوح، آية: (٣).

(٢) نوح، آية: (٢٦- ٢٧). عاش هذا النبي العظيم عمرًا مديدًا ودهرًا طويلًا ألف سنة إلا خمسين عامًا، لبثها في دعوة قومه إلَىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة له، لا يكلُّ ولا يملّ، ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا... ما ترك وسيلة تُمكِّنُه إلا استخدمها لإقناعهم بدعوته سرًّا وجهارًا، وترغيبًا وترهيبًا، ووعدًا ووعيدًا، واحتجاجًا واستدلالًا بالأدلة العقلية والحسية من واقع أنفسهم وحياتهم، ومما بين أيديهم من السماء والأرض وما فيهما من آيات وعبر، وكل ذلك لم يجد فيهم نفعًا ولا دفعهم إلَىٰ استجابة، بل أصروا علىٰ كفرهم وضلالهم واستكبروا استكبارًا، وأصروا علىٰ التشبث بأصنامهم ومعبوداتهم الباطلة، فكانت النتيجة لهذا الإصرار والاستكبار: الهلاك والدمار في الدنيا، وفي الآخرة الخلود في عذاب النار.

«منهج الأنبياء في الدعوة إلَىٰ الله» صـ(٥١ - ٥٢) ضمن «سلسلة الرسائل العلمية» لشيخنا المدخلي.

خليل الرحمن إبراهيم، إذ جاء إبراهيم قومه بأسلوب لا يتوقعونه، إذ قام من توه بأسلوب يهدم الجاهلية ليبني علىٰ أنقاضها الإسلام. الإسلام الذي لا يقبل الله سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾[1].

صاح فيهم صيحة الحق قائلًا: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾[2].

فهاجت الجاهلية وجن جنونها، وقررت أخيرًا التخلص من الرسول ورسالته، وأصدرت قرارها القائل: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾[3]، بيد أنه صدر من السماء قرار: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾[4]، فأبطل هذا القرار مفعول قرار الجاهلية[5]، ولله

---

(١) آل عمران، آية: (٨٥).

(٢) الأنبياء، آية: (٦٧).

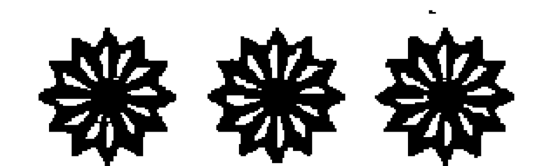
(٣) الأنبياء، آية: (٦٨).

(٤) الأنبياء، آية: (٦٩- ٧٠).

(٥) وكان في نجاة إبراهيم من تلك النار العظيمة بعد أن حولها الله بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم آية: عظيمة من أعظم آيات الله علىٰ نبوَّته وصدقه، وصدق ما جاء به من التوحيد، وبطلان ما هم عليه من الشرك والضلال. «منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله» صـ(٥٨) ضمن «سلسلة الرسائل العلمية» لشيخنا المدخلي.

وعلق حفظه الله علىٰ تلكم الصفحة من ذلكم الكتاب بقوله: هذا العمل البطولي العظيم وما سبقه من دعوة حكيمة إلىٰ التوحيد ونبذ الشرك في ميزان كثيرٍ

الحمد والمنة، هكذا امتحن الرسولان الكريمان، ولكن العاقبة للمتقين.



=

من دعاة الإصلاح اليوم يعتبر من الاهتمامات بالقشور والتوافه، فلا حول ولا قوة إلا بالله، إنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور.

علق العلامة صالح الفوزان - وفقه المولىٰ - علىٰ كلام شيخنا بقوله: لأنهم يرون أن البداءة بالدعوة يجب أن تكون بإصلاح الحكم والسلطة لا بإصلاح العقيدة، وعلىٰ هذا يكون إبراهيم وسائر الأنبياء قد أخطئوا منهج الدعوة الصحيح.

موسى عليه السلام

أما موسىٰ عليه السلام فقد تنوعت المشاكل معه، ورافقته المحن والمخاوف وهو رضيع، ثُمَّ شبت معه، حيث أخذ يحاول الطاغية فرعون التخلص منه وهو رضيع، ثُمَّ بدأ يؤذيه سفهاء قومه من جهة، فتجلد حَتَّىٰ بلغ رسالة ربه في وسط تلك الأمواج المتلاطمة من المحن المتنوعة، فيخبر القرآن آخر قصة موسىٰ مع فرعون، فيقول: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾[1].

(١) القمر، آية: (٤١ - ٤٢). لقد تربىٰ موسىٰ ودرج في قصور أعظم طاغية متألّه، وعرف من ألوان الفساد والكفر والطغيان والظلم والاستبداد في قصور الحكم عن مشاهدة واطلاع ما يصعب تصوره واحتماله، ورأىٰ ما نزل بقومه بني إسرائيل من استعباد واستذلال واستحياء من الناس وقتل الأبناء ما فاق كل ظلم عرفته البشرية.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص، آية: ٤]، وكان قوم فرعون أهل شرك ووثنية دون شك، فكيف كان بدء دعوة موسىٰ؟ هل اتجهت إلىٰ إصلاح عقيدة هذه الأمة الوثنية أو بدأت بالمطالبة بحقوق بني إسرائيل، والمصارعة علىٰ الحكم، والسعي الجاد في إقامة الدولة الإسلامية وانتزاع السلطة من أيدي الطغاة وعلىٰ رأسهم فرعون المتأله؟

لقد كانت دعوة موسىٰ كغيرها من دعوات آبائه وإخوانه من الأنبياء، لقد لقّنه ربه أصل التوحيد واصطفاه لحمل رسالته والقيام بعبادته.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ

نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه، آية: ٩- ١٥].

هكذا في مفتتح رسالته تملىٰ عليه عقيدة التوحيد، ويكلف شخصيًّا أن يقوم بها في واقع نفسه، ويتمثلها في حياته.

ثم يكلفه بالدعوة لهذا المبدإ العظيم، فيرسله إلىٰ فرعون، ويبين له طريق الدعوة وأسلوبها الحكيم الذي يواجه به فرعون، قال تعالىٰ: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات، آية: ١٧- ١٩].

ويشد عضده بأخيه هارون مبالغة في إقامة الحجة ويعلمهما الرفق واللّين في الدعوة، فإن ذلك أقرب الطرق إلىٰ هداية من يريد الله هدايته ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه، آية: ٤٣- ٤٤]. فنفّذا أمر ربهما ودعواه إلىٰ الله قاصدين هدايته وتزكيته ليكون ممن يخشىٰ الله ويتقي عواقب الشرك والظلم، فلم يستجب لهذه الدعوة الهادئة الحكيمة، فبرهن موسىٰ علىٰ نبوته وصدق رسالته بآيات كبرىٰ، لكن الطاغية فرعون زاد طغيانًا وتكذيبًا، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات، آية: ٢١- ٢٥].

[ازدياد طغيان فرعون وعسفه وظلمه]

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف، آية: ١٢٧].

ما ذنب موسىٰ وقومه في نظر هؤلاء المجرمين؟!! لا ذنب لهم إلَّا الدعوة إلىٰ توحيد الله والثّبات عليها، والكفر بفرعون ومعبوداته.

ثم ما موقف موسىٰ من هذه الانتهاكات البشعة والتي تجاوزت حدود الوحشيَّة والهمجيَّة؟!

إنَّه الثَّبات علىٰ العقيدة، والصبر الجميل، والاستعانة بالله في مواجهة هذه الشدائد، ثمَّ انتظار العاقبة الطيّبة والنَّصر نتيجة وثمرة حميدة لهذا الثّبات والصَّبر.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف، آية: ١٢٨].

ولمَّا لم يبق أي أمل في إيمان فرعون وقومه، واشتدّ البلاء علىٰ بني إسرائيل، كان مطلب موسىٰ الوحيد من فرعون أن يترك لبني إسرائيل حرّية الخروج والهجرة إلىٰ حيث يريد الله لهم إنقاذًا لهم من التعذيب والتّنكيل، ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾. [طه، آية: ٤٧].

إنها لدعوة سامية إلىٰ توحيد الله، فيها النور والحكمة، وفيها الحرص علىٰ هداية المدعوّين وتزكيتهم، وفيها أقوىٰ أنواع الصبر في تحمّل الأذىٰ، وفي مواجهة الطغيان والكبرياء، وفيها معالجة المواقف الصعبة بالحكمة والصبر، مع قوة الأمل في الله في نصر المؤمنين وإهلاك الظالمين، وفيها دروس وعظات لمن يريد بدعوته وجه الله، ويريد إصلاح البشر وربطهم بالله، وهدايتهم إلىٰ صراطه المستقيم[١].

(١) «منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله» صـ (٦٣- ٦٦) ضمن «سلسلة الرسائل العلمية». لشيخنا المدخلي وفقه المولىٰ.

عيسى عليه السلام

إذا كان موسىٰ عليه السلام قد رافقته المحن - كما قلنا - منذ أن كان في المهد صبيًّا فإن عيسىٰ عليه السلام قد واجهته ألوان من الشكوك موجهة إليه وإلىٰ والدته فور أن وجد في هذه الدنيا، فقاسىٰ ضروبًا من العنت، إذ اختلف فيه القوم بين قائل: هو ابن الله أو الله نفسه. وبين قائل: هو ولد بغي[1]، فجعل عيسىٰ عليه السلام يعرف القوم نفسه وحقيقته فيما تخبرنا به سورة «مريم»: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وعلىٰ الرغم من هذه الحقيقة الَّتي شرحها القرآن لَم يزل القوم يتمردون عليه

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية رقم (٣٧) من سورة «مريم»: اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسىٰ بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، فصممت طائفة - وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله - علىٰ أنه ولد زنية، وقالوا: كلامه هذا سحر.

وقالت طائفة أخرىٰ: إنما تكلم الله.

وقال آخرون: هو ابن الله.

وقال آخرون: ثالث ثلاثة.

وقال آخرون: بل هو عبد الله ورسوله. وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين». اهـ.

(٢) مريم، آية: (٣٠- ٣٤).

ويؤذونه، ولكنه كان يقابل كل ذلك بالصبر الجميل والتحمل، وكان محاطًا بعناية الله تعالىٰ، وقد تآمروا علىٰ قتله وصلبه، ولكن الله جعل فداءه ذلك الرجل الذي كان دليلًا لَهم يدلهم علىٰ مخبئه، فقتلوه ثُمَّ صلبوه جزاء وفاقًا، فأشاعوا بأنَّهم قتلوا عيسىٰ وصلبوه، فيوضح القرآن هذه الحقيقة، ويخبر أن تلك الإشاعة عنه ليس لَها أصل من الصحة، فيقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾[1].

---

(١) النساء، آية: (١٥٧ – ١٥٨). وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد وضح الله الأمر وجلاه، وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي نزله علىٰ رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالىٰ وهو أصدق القائلين، وهو ربُّ العالمين، المطلع علىٰ السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السموات والأرض، العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؛ أي: رأوا شبهه فظنوه إيَّاه، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ يعني بذلك من ادعىٰ قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من جهال النصارىٰ كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾؛ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾؛ أي: منيع الجناب، لا يرام جنابه، ولا يضام من لاذ ببابه، ﴿حَكِيمًا﴾؛ أي: في جميع ما يقدِّره ويقضيه من الأمور التي يخلقها؛ وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم. قاله الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية رقم (١٥٧ – ١٥٨) من سورة «النساء».

محمد رسول الله والذين آمنوا به واتبعوه

مضت الأيام تلو الأيام، والشهور تلو الشهور، والدهور تلو الدهور، ليحين وقت بزوغ فجر الإسلام من جديد، من واد غير ذي زرع، من عند بيت الله المحرم بمكة، فولد مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام - بمكة، وترعرع فيها[1]، فعرف عند قومه منذ صغره بالصدق والأمانة، فكانت له شخصية، وكسب شعبية بأخلاقه الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[2].

---

(١) وكان مولده ﷺ عام الفيل؛ لما روىٰ الحاكم (٢/ ٦٠٣) من طريق أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وُلِدَ النبي ﷺ عام الفيل.

قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: وأبو إسحاق هو السبيعي، مدلس وقد عنعن، بيد أن له شاهدًا أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ١٦٧) والحاكم (٢/ ٦٠٠) بإسناده إلىٰ قيس بن مخرمة، قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل فنحن لِدان.

لكنَّ فيه المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، قال الحافظ: مقبول. يعني عند المتابعة، وبمجموع الطريقين يكون حسنًا، والله أعلم.

وأم اليوم الذي ولد فيه ﷺ فهو يوم الاثنين، لما روىٰ مسلم برقم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «**فيه ولدت وفيه أُنزل عَلَيَّ**».

أما الشهر؛ فقيل في الثاني عشر من ربيع الأوَّل، لكنِّي لم أجد شيئًا ثابتًا في ذلك.

(٢) ن، آية: (٤).

الدعوة إلى الإسلام

فلما كلفه ربه بتبليغ رسالته وأن يصدع بالحق: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ دعاهم إلَىٰ الإسلام، واستنكر القوم هذه الدعوة، واستغربوا هذا الأسلوب الجديد الذي لا عهد لَهم به، والرسول ينادي فيهم: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»[(١)].

فأدرك القوم معنَىٰ هذه الكلمة، وأنَّها تعنِي القضاء علىٰ آلهتهم، وبالقضاء عليها يقضىٰ علىٰ نفوذهم الواسع وسلطانِهم الجاهلي.

فلما كان لصاحب الدعوة من المكانة فِي أنفسهم سابقًا لَم يتجرءوا فِي أول الأمر علىٰ قتله وقتل دعوته فِي مهدها، بل اتبعوا أساليب شتىٰ قبل قرار القتل الذي سوف نتحدث عنه إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٩٢) من حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٢٧٩). برقم (٣٣٣)، ورواه ابن خزيمة (١/ ٨٢) وغيره من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه، وهو كذلك في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٤٤١ – ٤٤٣) برقم (٥٢٠) من ط دار الآثار بـ«صنعاء».

[أساليب المشركين لضرب الدعوة]

فعرضوا عليه المال أو الجاه والرياسة، ولَم ينجح العرض، إذ رأوا أنه ليس لديه أدنىٰ ميل إلَىٰ هذه الأمور الَّتِي يرونَها عظيمة، فعمدوا إلَىٰ أسلوب خسيس يريدون به تدمير أعصاب الرسول - لو استطاعوا - والقضاء علىٰ الروح المعنوية العالية، فأخذوا يقترحون اقتراحات ساخرة، يحدثنا القرآن عن شيء من ذلك، فيقول: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾(1).

ولَمَّا لم ينجح هذا النوع من الأسلوب أيضًا أخذوا يفترون علىٰ من سموه من قبل أنه الصادق الأمين، ويلقبونه بألقاب مفتريات ويشيعون ضد الدعوة إشاعات هم يعلمون عدم صحتها قبل غيرهم، ولَم يتركوا بابًا من المكر والمكيدة إلا طرقوه، وها هو القرآن يحدثنا عن مكرهم: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾(2).

❋ ❋ ❋

---

(1) الإسراء، آية: (٩٠- ٩٣).

(2) إبراهيم، آية: (٤٦).

[محاولة المشركين اغتياله ﷺ]

ولَمَّا لَم تنجح جميع الوسائل الَّتِي أشرنا إليها من عرض المال والرياسة والسخرية والشائعات والافتراءات، وهي ما يسمونه بالحرب النفسية؛ لجأ القوم إِلَىٰ الحرب الحسية، ينالون بِها من صاحب الرسالة وأصحابه، حيث تفجرت أحقادهم.

❁ ❁ ❁

[قريش تعقد اجتماعًا لاستعراض الموقف ودراسته]

فعُقِدت جلسة خاصة ومهمة لسادات قريش فِي الحجر، واستعرضوا الموقف ودرسوه، وعددوا ما فعل النَّبِي - عليه الصلاة والسلام - وما قال فِي حقهم وفِي حق آلهتهم، قالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، إِلَىٰ آخر ما عددوه، ومن باب الموافقة أن يمر بِهم النَّبِي - عليه الصلاة والسلام - وهم يتحدثون في أمره، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به من كل جانب، وصاحوا به قائلين: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ فيجيبهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - بكل ثقة وثبات: «**نعم، أنا أقول كذا وكذا**». وأرادوا قتله فأدركهم أبو بكر الصديق ﷺ، فانبرىٰ للدفاع عنه، فأخذ يدفع هذا ويجأ هذا فِي بطنه وهو يقول: «أتقتلون رجلًا أن يقول ربِّي الله»[1].

---

(١) **قال عبد الله بن عباس** ﷺ: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ ونائلة وإساف لو قد رأينا محمدًا لقد قمنا إليه قيام رجلٍ واحدٍ فلم نفارقه حتىٰ نقتله، فأَقْبَلَتِ ابنته فاطمة تبكي =

[قريش تعقد مجلسًا آخر]

ولما أعجزتْهم جميع الحيل عقدوا مؤتمرًا خطيرًا - في زعمهم - في الأيام الَّتِي

=

حتىٰ دخلت علىٰ رسول الله ﷺ، فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: «**يا بنيَّة، أريني وضوءًا**»، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعَقِروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتىٰ قام علىٰ رؤوسهم، فأخذ قبضةً من التراب فقال: «**شاهت الوجوه**»، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلًا منهم من ذلك الحصىٰ حصاةٌ إلَّا قُتِلَ يوم بدر كافرًا»[(١)].

هذا بالنسبة لمؤامرة المشركين علىٰ رسول الهدىٰ ﷺ أما ما أشار إليه رَحِمَهُ اللهُ الذي فيه دفاع أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فهو عند البخاري برقم (٤٨١٥) من طريق عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوىٰ ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠٣). وهو حديث حسن، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٥٤٠ - ٥٤١) لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

أخذ المسلمون يهاجرون فيها إِلَىٰ المدينة، وظنوا أن الفرصة سانحة فلا تفوت، ومن الاقتراحات المهمة الَّتِي طرحت علىٰ بساط البحث والمناقشة للتخلص من النَّبِي ودعوته هي الآتية:

١- أن يسجن سجنًا مؤبدًا ولا يفك.

٢- أن يقتل علىٰ أيدي عدد من شباب قريش ينتخبون من عدة قبائل ليتفرق دمه بين القبائل.

٣- أن ينفىٰ من البلد.

ولما وضعوا خطتهم وحزبوا أمرهم كشف الله السميع القريب أسرار مؤتمرهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، هذا وكانت المحنة علىٰ ضراوتها وقسوتها لا تزيد محمدًا - عليه الصلاة والسلام - وصحبه إلا صلابة وتصميمًا، تصميمًا في المضي مهما كانت التضحيات.

❁ ❁ ❁

---

(١) الأنفال، آية: (٣٠).

[تعذيب المؤمنين]

وفي الوقت الذي كانوا يؤذونه - عليه الصلاة والسلام - هذا الإيذاء كانوا يؤذون المؤمنين به ويعذبونهم بألوان العذاب.

❁ ❁ ❁

[بلال ﵁ وثباته على الحق]

وقد سَجَّلَ التاريخ ما فعل أمية بن خلف ببلال الحبشي فِي بطحاء مكة ليكفر بمحمد ويعبد اللات والعزىٰ، ولا يزيد بلال علىٰ قوله: أحد أحد[1]، وهو تحت

---

(١) انظر «السيرة لابن هشام» (١/ ٣١٨).

قال عبد الله بن مسعود ﵁: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأُمُّه سميَّة وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمَّا سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا إلا بلال؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان علىٰ قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ[1].

هذا بعض ما حصل لصحابة رسول الله ﷺ، ولكنهم صمدوا في وجه الكفر صمود الجبال الرواسي ﵃، وكما قال ربنا سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر، آية: ٤٣].

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٠٤)، وهو حديث حسن.

=

تلك الصخرة، ولكن إيمانه كان أعظم وأثبت، وكانت هذه الكلمة من بلال تعني الهتاف بلا إله إلا الله، وقل هو الله أحد.

❋ ❋ ❋

[آل ياسر رضي الله عنهم وثباتهم على الحق]

وفي مكان آخر من مكة أيضًا نرىٰ آل ياسر يعذبون ويفتنون ليكفروا بالإسلام ويعبدوا اللات والعزىٰ، ويموت الأب وهو شيخ كبير تحت التعذيب من توه كما تقول بعض روايات السيرة.

أما الأم الشجاعة فقد أغلظت القول علىٰ أبي جهل، فطعنها لشدة جهله برمحه

=

فقد كان مقتل أمية بن خلف معذب بلال علىٰ يد بلال وجماعة من الأنصار، وكان هذا يوم بدر، فإن أمية لعنه الله أسر يوم بدر، وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد كاتبه أن يحفظه في صياغته بمكة وهو - أي ابن عوف - يحفظه في صياغته بالمدينة، فخرج ابن عوف رضي الله عنه إلىٰ جبل ليحرز أمية حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتىٰ وقف علىٰ مجلس من الأنصار فقال: أُميَّة، لا نجوت إن نجا أُمية، فخرج معه فريق من الأنصار، قال ابن عوف رضي الله عنه: فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتىٰ يتبعونا، وكان رجلًا ثقيلًا، فلما أدركونا قلت له: ابرك فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتىٰ قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه.

(١) وانظر القصة عند البخاري برقم (٢٣٠١).

فقتلها، فهي أول شهيدة في الإسلام[(١)]، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يمر بآل ياسر وهم يعذبون فيقول لهم: «**صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**»[(٢)].

---

(١) انظر «الطبقات» (٨/ ٢٦٤- ٢٦٥) لابن سعد.

أما أبو جهل فرعون هذه الأُمة فقد كان مقتله يوم بدر، ولم تنفعه غطرسته وفرعنته وجبروته، قال ابن عوف رضي الله عنه شارحًا قصة مصرع أبي جهل عدوِّ الله: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلَعَ[(١)] منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسُبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئِن رأيتُه لا يفارق سوادي سوادَه حتىٰ يموتَ الأعجلُ منَّا. فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلىٰ أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني. فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتىٰ قتلاه، ثم انصرفا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيّكما قتله؟**» قال كلُّ واحد منهما: أنا قتلته. فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «**كلاكما قتله...**»[(٢)].

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٣٨٨ - ٣٨٩) وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وحسنه الألباني في تخريج «فقه السيرة» صـ(١٠٣).

---

(١) أي: أقوىٰ. قاله النووي.

(٢) رواه البخاري برقم (٣١٤١)، ومسلم برقم (١٧٥٢).

[بطولة الصحابة وشجاعتهم]

وقد شهدت أيام النبوة أبطالًا خلد التاريخ بطولتهم وشجاعتهم وثباتهم علىٰ عقيدتهم مهما كلفهم ذلك من الثمن، ولو كان الثمن إزهاق أرواحهم الطاهرة.

❋ ❋ ❋

[شجاعة خبيب ﷺ وثباته على الحق]

فلنتخذ منهم خبيب بن عدي كمثال فقط لندرك أثر العقيدة في نفوسهم.

يقول علماء السيرة: أن خبيبًا أحد الذين بعثهم النَّبِي - عليه الصلاة والسلام - إِلَىٰ بعض القبائل الَّتِي تسكن بين مكة والمدينة، وهي قبيلة عضل وما جاورها من القبائل، فبينما هو فِي طريقه اعتقل ثُمَّ حمل إِلَىٰ مكة وباعه المجرمون لبني الحارث بن عامر بن نوفل ليقتلوه بحارث بن عامر الذي قتله خبيب يوم بدر، وفِي اليوم المحدد لقتله خرجوا به من الحرم إِلَىٰ التنعيم ليقتلوه فِي الحل بعد أن يصلبوه فاستأذن منهم ليصلي ركعتين يناجي فيهما ربه وهو ساجد، فأذنوا له، فصلىٰ ركعتين حسنتين، فلما فرغ أقبل عليهم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنني جزع من الموت لاستكثرت أو لأطلت. فرفع خبيب علىٰ الخشبة، فقيل: أرجع عن الإسلام نخلي سبيلك. فقال: لا والله، ما أحب أن أرجع عن الإسلام وأن لي ما فِي الدنيا جميعًا. وله دعوة مستجابة علىٰ الكفار فِي هذه المناسبة مسجلة في كتب السير وكتب الحديث ولا نطيل بذكرها[1].

---

(١) وسنذكرها قريبًا.

ومِمَّا قاله خبيب وهو معلق مصلوب: «اللهم إنِّي لا أرىٰ إلا وجه العدو، اللهم إنه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عنِّي السلام، فبلغه عنِّي أنت».

فبلغ جبريل سلامه إلَىٰ النَّبِي ﷺ فأخبره، النَّبِي ﷺ أصحابه.

فأخذوا يمزقون جلده أشلاء برماحهم وهو يترنم بأبياته المشهورة الَّتِي منها:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

إلَىٰ الله أشكو غربتِي بعد كربتِي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

وذلك فِي ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شلو ممزع

ولست أبالِي حين أقتل مسلمًا ... علىٰ أي جنب كان فِي الله مصرعي[1]

---

(١) بعث النبي ﷺ سريةً عينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت، فانطلقوا، حتىٰ إذا كانوا بين عسفان ومكة ذُكِرُوا لِحَيٍّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريبٍ من مائة رامٍ فاقتصوا آثارهم، حتىٰ أتوا منزلًا نزلوه، فوجدوا فيه نوىٰ تمرٍ تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتىٰ لحقوهم، فلما انتهىٰ عاصم وأصحابه لجئوا إلىٰ فَدفدٍ[1]، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلًا. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فقاتلوهم حتىٰ قَتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم =

---

(١) الفدفد: الموضع الذي فيه غِلَظ وارتفاع. «النهاية» (٢/ ٣٥٠).

=

حلُّوا أوتار قِسِيِّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر. فأبىٰ أن يصحبهم، فجرَّروه وعالجوه علىٰ أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه.

وانطلقوا بخبيب وزيد حتىٰ باعوهما بمكة، فاشترىٰ خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا، حتىٰ إذا أجمعوا قتله استعار موسىٰ من بعض بنات الحارث ليستحدَّ بها، فأعارته، قالت: فغفلت عن صبيٍّ لي، فدرج إليه حتىٰ أتاه، فوضعه علىٰ فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني، وفي يده الموسىٰ، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك - إن شاء الله -.

وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أُصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل، هو، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، ثم قال:

ما أُبالي حين أقتل مسلمًا ... علىٰ أيِّ شقٍّ كان لله مصرعي

وذلك فِي ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شلو ممزَّع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلىٰ عاصم ليُؤتَوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله

=

[إظهار الله دينه]

وفي وسط هذه المحن والمشاكل المحزنة أظهر الله دينه، وقويت شوكته، وأعز الله أتباعه حَتَّىٰ قامت له دولة فِي طيبة، فطابت لأتباعه، وطاب مقامهم بها، فجعل الرسول - عليه الصلاة والسلام - يستقبل الوفود تلو الوفود[1] وهم يدخلون في الإسلام ويسألون عن تعاليمه، وفي الوقت نفسه يرسل جيشه إِلَىٰ الأطراف ليدعو إِلَىٰ الله بالتي هي أحسن أولًا[2]، وللمعاند السيف، هكذا

=

عليه مثل الظُّلَّة من الدَّبْرِ، فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه[1].

(١) انظر جملةً منها في «أمالي في السيرة النبوية» صـ٢٤٥- ٢٤٨ مع تعليقنا المسمىٰ «نثر الجواهر المضيَّة».

(٢) كقوله ﷺ لمعاذ وأبي موسىٰ رضي الله عنهما عندما بعثهما إِلَىٰ اليمن: **«يَسِّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»**. رواه البخاري برقم (٣٠٣٨)،

(١) رواه البخاري (٤٠٨٦)، وعند ابن إسحاق في «السيرة» ص (٣٧١) بإسناد مرسل أن القوم هم الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يعبث هؤلاء النفر إليهم حتىٰ يعلموهم فغدروا بهم، وانظر «الطبقات» (٢/ ٥٥)، «جوامع السيرة» (ص١٤٠- ١٤٢)، «عيون الأثر» (٢/ ٥٨)، «الاكتفاء» للأندلسي (٢/ ١٠١- ١٠٥)، «المواهب اللدنيَّة» (١/ ٤١٦ - ٤٢٤)، «فتح الباري» (٧/ ٤٨٢ - ٤٩٠). و«نثر الجواهر المُضيَّة علىٰ كتاب أمالي في السيرة النبوية» صـ(١٣٢- ١٣٤) بقلمي.

=

أظهر الله الإسلام وأعز أهله ولو كره الكافرون: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾[2].

❋❋❋

=

ومسلم برقم (١٧٣٣).

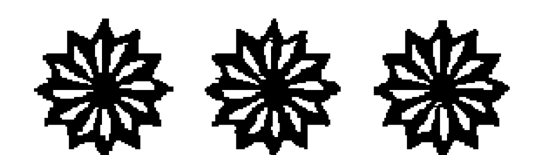
(١) المنافقون، آية: (٨).

(٢) الصف، آية: (٨، ٩).

[قيام الصحابة ﷺ بهذه الدعوة]

ثُمَّ سلم الرسول ﷺ الزمام لرجال أمناء تسلموا الدعوة وساروا بها سيرتَها الأولىٰ، لَم يغيروا، ولَم يبدلوا، فأخذوا يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا البلاد، فأقبل الناس علىٰ الإسلام محبة وتقديرًا لحملته لما رأوا فيهم الرحمة والإنصاف والعدل وعدم التناقض، وهي الصفات الَّتِي جعلت الناس يدخلون فِي دين الله أفواجًا.

هكذا مثل الإسلام أصحاب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وأتباعهم وحببوه إِلَىٰ الناس، ثُمَّ انتهت تلك القرون الَّتِي هي بحق خير هذه الأمة: «**خير الناس قرني، ثُمَّ الذين يلونَهم، ثُمَّ الذين يلونَهم**»[1].



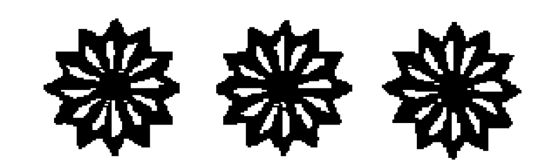
---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٣٣)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[إضاعة الخلف دعوة السلف]

ثُمَّ خلف من بعدهم خلف أضاعوا الدعوة وشوهوا الإسلام، وأدخلوا فيه ما ليس منه، فاشتدت غربة الدين من جديد، فوقع الدعاة في مشاكل ومحن غير متوقعة، إذ واجهت الدعوة صنوفًا من الضغط والاضطهاد من أولئك الذين يتظاهرون بالإسلام، بل فِي زعمهم أنَّهم أتباع صاحب الرسالة والمحبين له.

وظلم ذوي القربَىٰ أشد مضاضة ... علىٰ المرء من وقع الحسام المهند



مشاكل الدعوة بين الماضي والحاضر

وقد استعرضنا عرضًا سريعًا مشاكل الدعوة عبر التاريخ الطويل للدعوة اعتبارًا من عهد نوح عليه السلام إِلَىٰ العصر الحديث، محاولين الربط بين ماضي الدعوة وحاضرها؛ لنقارن بين المشاكل والمحن المحدقة بالدعوة والدعاة فيهما، وتبين لنا من هذا العرض أن المشاكل الَّتِي واجهتها الدعوة فِي الماضي البعيد والقريب كان مصدرها أعداء الدعوة المكشوفة عداوتُهم، الذين يعادونَها علنًا، مِمَّا جعل الدعاة يحذرونَهم، ويحتاطون لمكائدهم، ولا يفاجئون بِها إذا ظهرت، بل يقابلونَها بكل ثقة وثبات دون اضطراب أو قلق.

أما فِي العصر الحديث، فتواجه الدعوة الإسلامية ودعاتُها مشاكل ومحنًا لا قبل لَهم بِها من المنتسبين إِلَىٰ الإسلام، بل من المنتسبين إِلَىٰ الدعوة نفسها أحيانًا[١] كما سيأتي بيان ذلك.

---

(١) وهذا في حياته رحمه الله، أما الآن فقد ازداد ذلك؛ أعني: أذية علماء هذه الدعوة المباركة من قِبَل المنتسبين إليها، حتىٰ دخل في هذا الأمر سفهاء لا علم عندهم، فتراهم يقضون الساعات في نهش عرض هؤلاء العلماء، ومما زاد الأمر خطورة وجود القنوات الفضائية وما يسمَّىٰ بـ«الإنترنت»؛ فإنه عندما ينظر الإنسان في تلك المواقع يحزن ويتألم لما يرىٰ من تعالم الجهال الذين لا علم عندهم وقد تصدروا وصدروا كلامهم بـ«نحن» و«عندنا» و«نرىٰ»، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا نصحت أحدهم انقلب عدوًّا لك؛ لأنك لم تؤيده علىٰ الطعن في العالم الفلاني، فأنت عنده مقلد مذبذب، أما إذا وافقته فأنت صاحب الفضيلة والمحقق والباحث، إلىٰ آخر ذلك من الألقاب ذات النفخ، والموفق من عرف قدر نفسه وسار سيرًا سلفيًّا كما سار علماء أهل السنة، مع التبصر في الأمور وسؤال الله الثبات في الأمر، والله المستعان.

نوعية المشاكل في الماضي

أما نوعية المشاكل والمحن في الماضي قريبًا كان أو بعيدًا تنجلي فيما يلي:

١- إيذاء الدعاة في أنفسهم وأتباعهم، وتعذيبهم لمحاولة إيقاف الدعوة.

٢- وربَّما قدموا لهم بعض المغريات كالأموال والمناصب والرياسة، ولكن دون جدوىٰ.

٣- محاولة القضاء علىٰ الدعوة في مهدها بقتل صاحب الدعوة أو حبسه أو نفيه وإخراجه من أرضه وإبعاده في الآفاق كما مر بنا تفصيل ذلك.

هكذا كانت نوعية المشاكل في العصور الغابرة، وكلها باءت بالفشل كما رأينا، إذ جعل الله العاقبة للرسل وأتباعهم ونصرهم علىٰ أعدائهم: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) الأنفال، آية: (١٠).

(٢) الصافات، آية: (١٧١، ١٧٢).

نوعية المشاكل في العصر الحديث

تعيش الدعوة الإسلامية في العصر الحديث حياة لا تعرف لَهَا مثلًا فِي العصور الغابرة، وقد تنوعت المشاكل وتعددت، مِمَّا جعل دعاة الحق يحتارون في أمر الدعوة ومشاكلها المتنوعة، وكيفية التغلب عليها، حَتَّىٰ صار هذا التفكير شغلهم الشاغل.

وفي الإمكان أن نوجز أهم تلك المشاكل فيما يلي:

١- الجهل؛ أي: عدم تصور الإسلام تصورًا صحيحًا.

٢- التناقض الذي يصيب بعض الدعاة أحيانًا(١).

٣- النفرة وعدم الانسجام بين المنتسبين إِلَىٰ الدعوة الإسلامية(٢).

٤- وجود بعض الطوائف الضالة الَّتِي تعمل في بعض البلاد باسم الإسلام

---

(١) ويزداد ذلك خطورة إذا كان لذلك الداعية أتباع، فإنهم يتناقضون لتناقضه، وينحرفون بانحرافه ويكونون مدافعين عن أخطائه فقط، وهذه مشكلة منتشرة في أكثر البلدان.

(٢) وتزداد تلكم النفرة إذا فتح المتنسبون هؤلاء آذانهم لمن لا هَمَّ لهم إلا النميمة ونقل الكلام؛ لإفساد القلوب وتقطيع أواصر الأخوة والمحبة بين أهل السنة، مثل هؤلاء ينبغي أن يُسكتوا، وأن يبين لهم من قِبَلِ من نقلوا إليه ذلك أن هذا الفعل خطأ، لكنهم يظهرون ذلك مظهر الغيرة علىٰ ذلكم العالم، والعجيب أنك إذا قلت لهم: هذا الفعل لا يجوز لأنه يفسد ويباعد بين أهل السنة. قالوا: أنت تدافع عن المبطلين.

«كالقاديانية».

٥- المناهج العقيمة المقررة في كثير من جامعاتنا.

٦- آثار الاستعمار الباقية فِي كثير من البلدان الإسلامية[١].

تفصيل الكلام على المشاكل الست:

---

(١) وكذا من كانوا مقيمين بين أهل الكفر في تلكم البلدان، فإنك تجد الفرقة والفتن عندهم أكثر؛ لعدم وجود علماء بينهم، وكلٌّ واحد منهم متعصب ومقلد لفلان، والله المستعان.

١- الجهل

حقًّا إن الجهل داء، فعلىٰ الداعية أن يبدأ بتكوين نفسه وعلاج دائه قبل أن ينْزل الميدان للدعوة، وذلك بالفهم الصحيح، بأن يوجه اهتمامه إلَىٰ أخذ العلم من مصدره الأصيل: الكتاب والسنة، علىٰ أنَّهما هما المصدران للشريعة أصولها وفروعها، وبدراستهما يحصل العلم النافع، والهدىٰ والسيادة في الدنيا، والسعادة فِي الآخرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

ويقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**أوتيت القرآن ومثله معه**»[2]، كما ينبغي له أن يدرس السيرة العطرة، ولا بأس أن يطلع علىٰ ما تزخر به المكتبة الإسلامية الحديثة من كتب قيمة تستند إلَىٰ القرآن الكريم والسنة المطهرة فِي بحوثها ومعالجتها للحوادث العلمية.

وبذلك يتكون لدىٰ الدارس تصور صحيح لِهذا الدين فِي أحكامه وتشريعاته وعقيدته وعبادته وأخلاقه.

وبذلك يحصل له الفقه فِي الدين، وهو التصور الصحيح للإسلام - كما قلنا - يتصور ويفهم فهمًا دقيقًا معنَىٰ الألوهية ومعنَىٰ العبادة ومعنَىٰ الجاهلية، وما أصدق كلام عمر بن الخطاب إذ يقول: «إنَّما تنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة إذا

---

(١) الإسراء، آية: (٩).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٣١) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**...» الحديث، وهو حديث صحيح ورجاله كلهم ثقات.

نشأ في الإسلام من لَمْ يعرف الجاهلية»[١]، هو الفقه الذي يريده النبي - عليه الصلاة والسلام - في قوله: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٢].

❁ ❁ ❁

جهل أهل الكلام وعدم فقههم في الدين جَعَلَ الفلسفةَ توحيداً والتعطيل تنزيهًا

وعدم هذا الفقه هو الذي جعل أهل الكلام يسمون فلسفتهم توحيدًا، وتعطيلهم تنْزيهًا، وإثبات غيرهم تشبيهًا، وألفوا فِي ذلك مؤلفات تدرس اليوم في كثير من معاهدنا وجامعاتنا باسم التوحيد، وليس فيها طعم التوحيد ولا روحه، بل قد أبعدوا النجعة، فهم كما قال القائل:

نزلوا بِمكة فِي قبائل هاشم ... ونزلت بالبطحاء أبعد منْزل

وهؤلاء في وادٍ والتوحيد والعقيدة فِي وادٍ.

فكم حالت تلك المؤلفات بين شبابنا وبين فهم العقيدة الإسلامية الَّتِي نطق بها الكتاب والسنة كنتيجة للتصور الخاطئ للإسلام وعقيدته، ولقد أحسن من قال:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

---

(١) لم أقف له علىٰ سند.

(٢) رواه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

كـلا ولا جحـد الـصفات ونفيهـا حـذرًا مـن التمثيـل والتـشبيه[١]

❋ ❋ ❋

[عدم الفقه في الدين سبب لانتشار البدع]

هذا، وإن عدم الفقه الدقيق هو الذي حمل العباد أو المتسبين إِلَىٰ التنسك والتعبد علىٰ ابتداع طقوس بعيدة عن روح الإسلام، وأطلقوا عليها أسماء من عند أنفسهم علىٰ حساب الإسلام، وفرقوا بِها جماعة المسلمين، ووزعوهم علىٰ تلك البدع، وأعلنوا عن أنفسهم أنَّهم أهل الله وأحباؤه، ولَهم صلاحية ليست للأنبياء والرسل، إذ فِي إمكانِهم أن يأخذوا الدين وشرائعه عن الله مباشرة بغير واسطة جبريل، ودون الحاجة إِلَىٰ الرسول مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام -.

هكذا تدعو جهلة الصوفية إلىٰ الردة من حيث لا تشعر أو من حيث تشعر بالنسبة لأقطابهم، ومن تلكم الطرق المبتدعة الطرق الآتية أسماؤهم:

١- الطريقة التيجانية[٢]. ٢- الطريقة القادرية[٣].

---

(١) انظر «الفوائد» صـ(١٥٣) لابن القيم، ط دار عالم الفوائد، وله أبيات في «النونية» بنحوها، أما هذه فليست له.

(٢) **التيجانية**: طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلةً مادية، واللقاء به لقاءً حسيًا في هذه الدنيا، وأنه خصهم بصلاة «الفاتح لِمَا أُغْلِق». «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» (١/ ٢٨١).

(٣) **القادرية**: منسوبة إلىٰ الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفىٰ سنة (٥٦١)هـ. «الموسوعة الميسرة» ١/ ١٥٨).

٣- الطريقة السنوسية[1].   ٤- الطريقة المرغنية.

إِلَىٰ آخر تلكم الأسماء الَّتِي وزعت المسلمين طرائق قددًا، وسماها أولئك الذين لا فقه لَهم فِي الدين أنَّها من طوائف المسلمين، بل زعم بعض هؤلاء أن أصحاب هذه الطرق من دعاة الإسلام، وأنَّهم هم الذين انتشر الإسلام بدعوتِهم في العالم، يا لَها من فرية ما أفظعها، ويا له من جهل ما أقبحه!

إن هي إلا بدع سميت بغير أسمائها لو كانوا يفقهون.

ولا يستكثر علىٰ مشايخ الصوفية أن يأتوا كل بدعة، وأن يقولوا كل قول بعيد عن الصواب، لأنَّهم أوعية جهل - لو صح هذا التعبير - ولعلي لا أثقل عليكم لو نقلت لكم بيتًا صوفيًّا يشتمل علىٰ الوعظ والإرشاد في دين الصوفية، وهذا نصه:

فأكثر ما استطعت من الخطايا   إذا كان القدوم علىٰ الكريم

[«تيسير العزيز الحميد» (ص٦٧)].

وأتركه هكذا دون تعليق لتأخذوا حريتكم فِي التعليق.

وجهلهم مركب، وهو من أقبح نوعي الجهل كما لا يخفىٰ، ولكن الذي يخجل ويحمل المرء علىٰ الاستغراب أن يتبنىٰ الدعوة إِلَىٰ هذه الطرق المبتدعة ويعد أصحابها من دعاة المسلمين علماء أجلاء ولو في نظر العامة ودكاترة محترمون، كيف جهلوا بأن هذه الطرق عقبة من العقبات الَّتِي يشكو منها دعاة الحق فِي كل مكان، وليس بينها وبين الإسلام صلة قرابة، إذ تتنافىٰ مع تعاليم الإسلام في

---

(١) السنوسية: طريقة صوفية من أبرز شخصياتها محمد بن علي السنوسي المتوفىٰ سنة (١٢٧٦)هـ وتأسست في «ليبيا» في القرن الثالث عشر الهجري. «الموسوعة الميسرة» (١/ ٢٨٧).

أصوله وفروعه، ودعوىٰ أنَّها من البدع الحسنة دعوىٰ عارية عن الدليل، ولا يوجد في الإسلام ما يسمىٰ بالبدعة الحسنة، ورحم الله الإمام مالكًا إمام دار الهجرة(١) إذ يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة فرآها حسنة فقد اتَّهم محمدًا بالخيانة وعدم التبليغ» أو كما قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حقًّا إنه لا يكون ديننا اليوم ما لَمْ يكن ديننا أمس فِي عهد النبوة(٢)، ولعمري لقد عظمت المصيبة علىٰ الأمة الإسلامية فِي العصر الحديث بهاتين البدعتين: بدعة الكلام وبدعة الطرق الصوفية.

❁ ❁ ❁

[أضرار بدعة علم الكلام وبعدها عن السنة والجماعة]

أما بدعة الكلام فقد صرفت شباب الجامعات وكثيرًا من طلاب العلم في المساجد فِي كثير من البلدان الإسلامية عن دراسة العقيدة الإسلامية الَّتِي كان عليها سلف هذه الأمة، والَّتِي نطق بِها الكتاب وشرحتها السنة، فقد جهلها كثير من شبابنا المخدوعين بذلك الكلام المذموم الذي ذمه أئمة المسلمين وحذروا منه.

ومن المغالطات الغريبة أن يطلق علىٰ عقيدة طائفة من أهل الكلام أنَّها عقيدة

---

(١) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، الإمام الحافظ، فقيه الأمة، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الأصبحي المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، مات سنة (١٧٩)هـ. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٧).

(٢) قول مالك المشهور عنه هو: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنةً فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذٍ دينًا فلا يكون اليوم دينًا». انظر «الإمام مالك مفسرًا» صـ(١٦٨).

أهل السنة والجماعة، وهي بعيدة عن السنة وعما كانت عليه الجماعة بعدهم عنها، وهم يدخلون في عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾[2].

يقول العلامة ابن القيم[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض كتبه[4]:

«قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده، هكذا كما أنه في الأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات، فإذا كان القلب ممتلئًا بالباطل اعتقادًا ومحبة لَم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع»[5].

---

(١) الحج، آية: (٨).

(٢) الحج، آية: (٣، ٤).

(٣) هو العلامة الكبير، المجتهد المطلق، المصنف المشهور: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، مات سنة (٧٥١) هـ. «الدرر الكامنة» (٣/ ٤٠٠)، «البدر الطالع» (٢/ ٦٩٥- ٦٩٨).

(٤) «الفوائد» صـ(٤١- ٤٢) ط دار عالم الفوائد.

(٥) وتَتِمَّتُه: كما أن اللسان إذا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه إلا إذا فُرِّغَ لسانه من النُّطق بالباطل، وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يُمكن شغلها بالطاعة إلَّا إذا فرَّغها من ضِدِّها... والعلوم التي لا تنفع لم يبق فيها موضعٌ للشغل بالله ومعرفة أسمائه وصفاته وأحكامه، وسر ذلك أن إصغاء القلب كإصغاء الأُذُنِ، فإذا صغىٰ إلىٰ غير حديث الله لم يبق فيه ميلٌ إلىٰ محبَّته، فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محلٌّ

[موقف أئمة أهل السنة من علم الكلام وأهله]

فلنسمع ما قاله بعض أئمة الهدى في ذم الكلام وأهله:

١ - قال الإمام أبو يوسف[1] تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب

=

للنُّطقِ بذكره كاللسان. ولهذا في الصحيح (خ برقم (٦١٥٥)، م برقم [٢٢٥٧]) عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأن يمتلئَ جوف أحدكم قيحًا حتىٰ يَرِيَهُ خيرٌ له من أن يمتلئَ شعرًا**». فبيَّن أن الجوف يمتلئ بالشعر، فكذلك يمتلئ بالشبه والشكوك والخيالات والتقديرات التي لا وجود لها، والعلوم التي لا تنفع، والمفاكهات والمضحكات والحكايات ونحوها.

وإذا امتلأ القلب بذلك جاءته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسعادته، فلم تجد فيه فراغًا لها ولا قبولًا فتعَدَّتْه وجاوزته إلىٰ محلٍّ سواه، كما إذا بُذِلَتِ النصيحةُ لقلبٍ ملآن من ضِدِّها لا منفذ لها فيه، فإنه لا يقبلها ولا تلج فيه، لكن تمرُّ مجازةً لا مستوطنة، ولذلك قيل:

نـزِّه فـؤادك مـن سـوانا تلقنـا ... فجنابُنـا حِـلٌّ لكـلِّ مُنَـزَّهِ

والـصبر طِلَّـسْمٌ لِكَنْـزِ وصـالنا ... مـن حَـلَّ ذا الطِّلَّـسْمَ فـاز بِكَنْـزِهِ

وبالله التوفيق. اهـ.

(١) هو القاضي أبو يوسف الإمام العلامة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، صاحب أبي حنيفة، مات سنة (١٨٢)هـ. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٩٢).

الحديث كذب»[١].

٢- قال الإمام الشافعي[٢]: «حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ويضربوا بالجريد والنعال، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ علم الكلام[٣]، وقد اطلعت من أهل الكلام علىٰ شيء ما ظننت مسلمًا يقوله، ولأن يبتلىٰ العبد بكل ما نُهي عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلىٰ بالكلام[٤]».

٣- وما أروع ما قال الإمام مالك[٥] رَحِمَهُ اللهُ: «أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلىٰ مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام لجدل هؤلاء؟!»[٦].

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٤٦٦)، واللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٦٦).

(٢) هو الشافعي، الإمام العلم، حبر الأُمة أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي الشافعي المكي، مات سنة (٢٠٤)هـ. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٦١)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١١٦١).

(٣) رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» صـ(٧٨)، والأصبهاني في «الحجة» (١/ ٢٠٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي» صـ(١٨٥)، واللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٦٥).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) رواه البيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (١/ ٢١٧).

فكم كان غريبًا ومثيرًا أن يتسب هؤلاء الكلاميون إِلَىٰ الأئمة المذكورين فِي الفروع الفقهية، ثُمَّ يخالفونَهم فِي أصول الدين فيما يعتقدون نحو ربِّهم!!.

فهل يعتقد هؤلاء البلداء أن الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف كانوا علىٰ ضلال فِي عقيدتِهم وأصول دينهم بينما هم علىٰ حق فِي الفروع.

هذا ما يستنتج من موقفهم رضوا أم أبوا!! إنَّها قضية ولا أبا حسن لها - كما يقولون -.

❋ ❋ ❋

[بدعة طرق الصوفية]

وأما بدعة طرق الصوفية فهي الأُخرىٰ قد حجبت كثيرًا من المخدوعين لها عن فهم حقيقة العبادة فِي الإسلام، حَتَّىٰ ظن جمهور المخدوعين أن التعبد أو التنسك معناه التصوف، وبالتالي غيرت الصوفية لديهم مفهوم الذكر، فقد ظن أكثرهم أن ذكر الله عبارة عن اجتماع لفيف من الناس فِي مكان ما - وفِي الغالب يكون عند ضريح من أضرحة المشايخ والسادة - ويعقدون حلقات يطلق عليها ظلمًا وعدوانًا: حلقات الذكر، ثُمَّ يأخذون فِي التمايل يمينًا ويسارًا وهم يقولون: الله الله. وأخيرًا: هو هو، وإذا حمي الوطيس فلا تسمع إلا حوه حوه، أو ح ح، وقد يطفأ السراج - إن أقيمت الحضرة ليلًا - ليأخذ الذاكرون حريتهم وليصل الذكر إِلَىٰ حد الكمال ويصل الواصلون!! يا للإسلام!! ما أعظم مصيبة أتباعه!

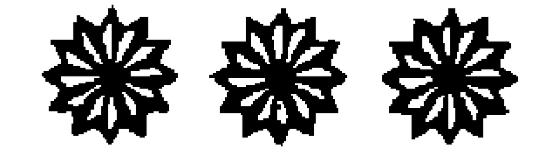
❋ ❋ ❋

[مفهوم العبادة عند الصوفية]

وأما العبادة عند المتصوفة فهي عبارة عن إقامة الحفلات الموسمية؛

كالاحتفال باسم المولد النبوي، والاحتفال باسم الإسراء والمعراج، وعيد أول السنة الهجرية، وعيد النصف من شعبان، وصورت الصوفية لجمهور المخدوعين أن هذه الاحتفالات والأعياد هي الإسلام، بل هي من أعظم ما يتقرب به المسلمون إِلَىٰ الله، فطالمًا يحافظون عليها فهم بخير - والحمد لله - شرقوا أو غربوا أو ألحدوا أو وحدوا، والعبارة المخدرة لا تفارق ألسنتهم: «أمة مُحَمَّد بخير».

ولا شك أن الباحث الفهيم المهتم بشئون الدعوة الإسلامية يرىٰ أن أفظع فتنة فتنت بها هذه الأمة فِي العصر الحديث فتنة علم الكلام وفتنة التصوف، وجميع المشاكل الَّتِي سوف نتحدث عنها - إن شاء الله - تتفرع معظمها عن هاتين البدعتين، والله المستعان.



٢- التناقض

إذا تحدثنا عن حاجة الدعاة إِلَىٰ التصور الصحيح للإسلام وأن عدم تصورهم للمفهوم الصحيح للإسلام هو عقبة من العقبات فِي سبيل الدعوة إذا أثبتنا حاجتهم تلك، فهم إِلَىٰ التطبيق العملي والتفاعل مع الإسلام أحوج، بحيث تكون حياتُهم ترجمة واضحة لمنطوق الإسلام، وصورة كريمة تمثل الإسلام وتحببه إِلَىٰ الناس، فالأمة الإسلامية بحاجة ماسة إِلَىٰ دعاة يتوسمون خطىٰ الدعوة فِي أقوالهم وأفعالهم، فِي حياتهم الخاصة، فِي أنفسهم، وفِي بيوتِهم، وفِي حياتِهم العامة؛ ليصبحوا بذلك قدوة للمجتمع الذي يعيشون فيه، والداعية الناجح هو الذي يهذب الناس بسيرته قبل أن يهذبَهم بلسانه، ويدعوهم إِلَىٰ الله بخلقه وحسن سلوكه قبل أن يقول شيئًا بلسانه.

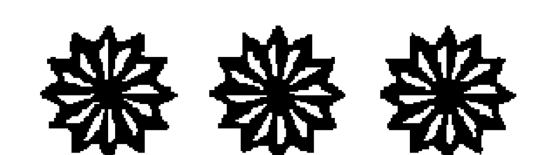
فكما تشكو الدعوة الإسلامية فِي العصر الحديث من تناقض الدعاة، تشكو من دعاة يعظون ولا يتعظون، يقولون ما لا يفعلون[1]، يأمرون ولا يأتمرون، ينهون ولا ينتهون، دعاة تكذب أفعالهم أقوالهم فِي الغالب، نسمع خطبًا منبرية قوية، وتحمسات وانفعالات، وثرثرة ولا شيء غير ذلك، «نسمع جعجعة ولا

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفوائد» صـ(٨١): وعلماء السوء جلسوا علىٰ باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلىٰ النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هَلُمُّوا. قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دَعَوا إليه حقًّا كانوا أوَّلَ المستجيبين له، فهم في الصورة أدِلَّاءُ، وفي الحقيقة قطاع الطريق.اهـ.

نرىٰ طحنًا».

وقد بلغ الأمر والحال ببعض من ينتسب إِلَىٰ الدعوة والإصلاح أنه قد يترك الصلاة أو صلاة الجمعة، وإذا سئل عن ذلك يكون الجواب أنه في إجازة.

ويعد هذا صنف من الدعاة إِلَىٰ الإسلام، فما رأي المستمع الكريم؟!



٣- النفرة وعدم الانسجام

توجد في العصر الحديث جماعات تدعو إلىٰ الله ولكنها في الغالب تتخبط علىٰ غير بصيرة، فالواجب علىٰ دعاة الحق أن يكونوا علىٰ بصيرة، فاهمين ما يدعون إليه، ومتصورين له، ومؤمنين به: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1].

هاتان صفتان لأتباع مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام -:

١- القيام بواجب الدعوة.

٢- أن يكسبوا البصيرة قبل أن يشرعوا في الدعوة.

البصيرة: هي العلم الذي مصدره الوحي، والفقه الدقيق الذي يستفيد منه الداعية الحكمة وحسن الأسلوب وكسب القلوب والتحبب إلىٰ الناس دون تملق ولا نفاق.

والتحابب بين المسلمين عامة وبين الدعاة خاصة أمر ضروري لحياة الدعوة؛ بل سبب لرضا الرب تعالىٰ ودخول دار الكرامة: **«لا تدخلوا الجنة حَتَّىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حَتَّىٰ تحابوا، ألا أدلكم علىٰ أمر إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»**[2].

ومِمَّا تشكوه الدعوة الإسلامية هذا اليوم النفرة وعدم الانسجام، وقلة التعاون بين الجماعات الَّتِي تتصدىٰ كل واحدة منها للدعوة إلىٰ الله.

---

(١) يوسف، آية: (١٠٨).

(٢) رواه مسلم برقم (٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الواقع: أن أكثر تلكم الجماعات بحاجة ماسة إلىٰ من يدعوهم إلىٰ الله ويبصرهم فِي دينهم؛ حَتَّىٰ يكونوا مؤهلين أولًا في أنفسهم للدعوة بالقضاء علىٰ التنافر فيما بينهم، وتنافر مناهجهم وبرامجهم في العمل[1].

---

(١) **قال شيخنا العلامة الوادعي** رَحِمَهُ اللهُ: إن من أعظم المصائب التي أصيب بها المسلمون هو تفرُّق الدعاة إلىٰ الله، ويحرص أعداء الإسلام علىٰ تشتيت شملهم، بل أعظم من هذا أنهم يحرصون علىٰ أن يضربوا بعضهم ببعض، ولو أن الدعاة إلىٰ الله عَقَلوا ورجعوا إلىٰ سيرة سَلَفِهِم لوجدوهم قد اختلفوا في مسائل، فلم يكن ذلك سببًا لنيل بعضهم من بعض، فاختلفوا اختلاف أفهام، كاختلافهم في فهم قوله ﷺ: **«مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلا يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»**[1]، فمنهم مَن عمل بظاهر الحديث ولم ....

---

(١) رواه البخاري برقم (٤١١٩)، ومسلم برقم (١٧٧٠)، وهو عنده بلفظ: **«لا يصلين أحد الظهر...»** الحديث، قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٧/ ٥١٩): قوله: **«لا يصلين أحد العصر»** كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري، ووقع في جميع النسخ عند مسلم **«الظهر»**، مع اتفاق البخاري ومسلم علىٰ روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد... وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلىٰ الظهر وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها: **«لا يصلين أحد الظهر»**، ولمن صلاها: **«لا يصلين العصر»**، وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقيل للطائفة الأولىٰ: **«الظهر»**، وقيل للطائفة التي بعدها: **«العصر»**، وكلاهما جمع لا بأس به. اهـ المراد.
=

...يصلِّ إلَّا في بني قريظة، ومِنهم مَن فَهِمَ أن المطلوب هو المبادرة، فلما خَشِيَ فَوَاتَ الوَقْتِ صَلَّىٰ فِي الطَّرِيقِ، ولم يعنِّف النبي ﷺ إحدَىٰ الطَّائفتين.

بل أعظم من هذا أن النبي ﷺ أخبر أن المجتهد إذا اجتهد وأخطأ فله أجر، يقول ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ وَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(١).

واختلف السلف رضوان الله عليهم اختلاف تنوع، مثل اختلافهم في صفة التشهد في الصلاة الواردة بكيفيات شتىٰ، واختلافهم في الصلاة علىٰ النبي ﷺ، فهذا يختار هذه الصيغة، وذلك يختار صيغة أخرىٰ، ولم يعب بعضهم علىٰ بعض.

والذي كان ينكره السلف هو اختلاف التضاد، وهو أن يرد الشخص حديثًا صحيحًا بدون تأويل.

ولم يكن السلف رحمهم الله متفرقين جماعات جماعات، كل جماعة قد اتخذت لها رأسًا جاهلًا مفتونًا بالزعامة، يضلل الآخرين ويحذر منهم، بل كانوا أمةً واحدة، يوالون في الله، ويعادون في الله، كما أرشدهم ربهم بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾(٢).

إننا لسنا نستغرب اختلاف الملوك والرؤساء؛ لأنهم أصحاب دنيا، ولكن الذي يجرح القلب هو اختلاف الدعاة إلىٰ الله، ويحققون ما يريده أعداؤهم من الفرقة.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٥٢)، ومسلم برقم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) المائدة، آية: (٥٥).

=

إننا لسنا ندعو جماعة من الجماعات إلىٰ أن تترك آراءها لآراء الجماعة الأخرىٰ، ولكننا نقول: لتترك الجماعات كلها آراءها وتحتكم إلىٰ كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2].

إنني أعلم علمًا يقينًا أن غالب الأتباع في الجماعات لا يريد إلا الحق، ولو علم أن هذا التفرق لا يجوز في الدين لتَرَكَ اتِّباع رئيسه المتعصب الأعمىٰ المفتون بالزعامة حتىٰ ولو ضحىٰ بالإسلام.

إننا قد تأكدنا أن مباحث الحكومات تسلك مع الجماعات مسلكًا شيطانيًّا في التحريش، كما قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَد أَيِسَ أَن يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ وَلَكِن بِالتَّحْرِيشِ**»[3]، يفعلون هذا بالمقابلات بين الإخوة إذا كانوا في سجونهم، أو يدخل أحدهم في الجماعات حتىٰ يصبح موثوقًا في الجماعة، ثم يسعىٰ في الفرقة، وتنقسم الجماعة الواحدة إلىٰ جماعات.

إن هذه الفرقة وهذه الحزبية أضعفت المسلمين، وكلنا نحسُّ بهذا، بل والله نخشىٰ أن تنتهي الحزبيةُ ببعضِ الحزبيِّين إلىٰ الطاغوتيةِ إذا كان يوالي من أجلها

(١) الشورىٰ، آية: (١٠).

(٢) النساء، آية: (٥٩).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

=

ويُعادي من أجلها، ويدعون من أجلها. اهـ[١].

وقال العلامة صالح الفوزان - حفظه الله - في مقدمته لكتاب شيخنا العلامة المدخلي - حفظه الله - المسمىٰ «منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله» في معرض كلامه عما تدعو إليه الجماعات في عصرنا الحاضر: فجماعة تدعو إلىٰ إصلاح الحكم والسياسة، وتطالب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين النَّاس - وهذا جانب مهم لكنَّه ليس الأهم -؛ إذ كيف يطالب بتطبيق حكم الله علىٰ السارق والزاني قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله علىٰ المشرك، كيف يُطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير قبل أن يُطالب بتطبيق حكم الله علىٰ عبّاد الأوثان والقبور، وعلىٰ الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته، فيعطلونها عن مدلولاتها، ويحرفون كلماتها.

أهؤلاء أشدّ جُرمًا أم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون؟!! إنَّ هذه الجرائم إساءة في حق العباد، والشرك ونفي الأسماء والصفات إساءة في حق الخالق سبحانه، وحق الخالق مقدَّم علىٰ حقوق المخلوقين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة» (١/ ٤٤٦): «فهذه الذنوب مع صحّة التوحيد خير من فساد التوحيد مع هذه الذنوب» انتهىٰ.

هذا وجماعة أخرىٰ تنتمي إلىٰ الدعوة، لكنَّها تسير علىٰ منهج آخر يختلف أيضًا عن منهج الرسل، فلا تعير العقيدة أهميّة، وإنّما تهتم بجانب التعبد وممارسة بعض الأذكار علىٰ نهج الصوفية، ويركّزون علىٰ الخروج والسياحة، والذي

(١) «المخرج من الفتنة» صـ(٧- ١٠).

يهمهم هو استقطاب النَّاس معم دون نظر إلىٰ عقائدهم، وهذه كلها طرق مبتدعة تبدأُ من حيث انتهت دعوة الرسل، وهي بمثابة من يعالج جسدًا مقطوع الرأس؛ لأن العقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، والمطلوب من هذه الجماعات أن تصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنَّة لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلىٰ الله؛ فإن الله سبحانه أخبر أنَّ الحاكميَّة والسلطة التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها لا تتحقق إلا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وهؤلاء يريدون قيام دولة إسلاميَّة قبل تطهير البلاد من العقائد الوثنيَّة المتمثلة بعبادة الموتىٰ والتعلق بالأضرحة بما لا يختلف عن عبادة اللات والعزَّىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، بل تزيد عليها أنَّهم يحاولون محالًا:

ومن طلب العلا من غير كدٍّ ... أضاع العمر في طلب المحال

إن تحكيم الشريعة، وإقامة الحدود، وقيام الدولة الإسلامية، واجتناب المحرمات، وفعل الواجبات، كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته، وهي تابعة له، فكيف يعتنىٰ بالتابع ويهمل الأصل؟

وإنني أرىٰ أن ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريقة الدعوة إلىٰ

(١) النور، آية: (٥٤- ٥٥).

الله إنما نشأ من جهلهم بهذا المنهج، والجاهل لا يصلح أن يكون داعية؛ لأن من أهم شروط الدعوة العلم، كما قال تعالىٰ عن نبيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1]، فأهم مؤهلات الداعية: العلم.

ثم إننا نرىٰ هذه الجماعات المنتسبة إلىٰ الدعوة مختلفة فيما بينها، فكل جماعة تختط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرىٰ، وتنتهج غير منهجها، وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ، فإن منهج الرسول واحد لا انقسام فيه، ولا اختلاف عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾، فأتباع الرسول ﷺ علىٰ هذه السبيل الواحدة لا يختلفون.

وإنما يختلف من خالف هذه السبيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[2]، ولما كان أمر هذه الجماعات المخالفة والمختلفة يشكل خطرًا علىٰ الإسلام قد يصدّ عنه من أراد الدخول فيه كان لا بد من بيانه وبيان أنه ليس من الإسلام في شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾[3]، ولأن الإسلام يدعو إلىٰ الاجتماع علىٰ الحق، كما قال تعالىٰ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[4]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟

---

(١) يوسف، آية: (١٠٨).

(٢) الأنعام، آية: (١٥٣).

(٣) الأنعام، آية: (١٥٩).

(٤) الشورىٰ، آية: (١٣).

....

=

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، لما كان بيان ذلك واجبًا، وكشفه لازمًا؛ قام جماعة من العلماء من ذوي الغيرة والتحقيق للتنبيه علىٰ أخطاء تلك الجماعات، وبيان مخالفتها في الدعوة لمنهج الأنبياء، لعلها ترجع إلىٰ صوابها؛ فإن الحق ضالة المؤمن، ولئلا يغتر بها من لا يعرف ما هي عليه من خطإ، ومن هؤلاء العلماء الذين تولوا هذه المهمة العظيمة عملًا بقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2].

من هؤلاء الذين بينوا ونصحوا فضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي، في هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وهو بعنوان: «منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل»، فقد بين - وفّقه الله وجزاه خيرًا - منهج الرسل في الدعوة إلىٰ الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، وعرض عليه منهج الجماعات المخالفة؛ ليتضح الفرق بين منهج الرسل وتلك المناهج المختلفة والمخالفة لمنهج الرسل وناقش تلك المناهج مناقشة علمية منصفة، مع التعزيز بالأمثلة والشواهد، فجاء كتابه - والحمد لله - وافيًا بالمقصود، كافيًا لمن يريد الحق، وحجة علىٰ من عاند وكابر، فنسأل الله أن يثيبه علىٰ عمله، وينفع به، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه. اهـ.

---

(١) آل عمران، آية: (١٠٣).

(٢) الحديث رواه مسلم برقم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه، لكن بدون تكرار «**الدين النصيحة**» ثلاثًا، فإنه وارد عند أحمد (٤/ ١٠٢) وغيره. انظر «إرواء الغليل» برقم (٢٦).

[خطورة الجماعات على الدعوة]

وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية، وهي ذاتُها محنة من المحن ومشكلة من المشاكل للدعوة والدعاة معًا إذا هي بقيت علىٰ وضعها ولم تعد النظر فِي سلوكها، ومنهج عملها، وبرامجها، وأساليب دعوتِها وسياستها، فخطرها علىٰ الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها.

❋ ❋ ❋

[أهمية معرفة تاريخ الدعاة الأولين]

فعلىٰ هذه الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتابعين الذين نطق بِهم القرآن وبه نطقوا، والذين انتشر الإسلام بدعوتِهم، بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة، ويسيروا سيرتَهم، وينسجوا علىٰ منوالهم، مع ملاحظة الأساليب المناسبة فِي العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس.

وإن لَم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يكتب لدعوة أي نجاح أو أي تقدم؛ لأنه عمل لَم يستوف الشروط، وهو عمل غير صالح، وسوف يجدي بها أوتِي أصحابُها من الدهاء وسحر البيان والجدل والاستغفال.

أجل، قد ينطلي هذا الأسلوب علىٰ بعض الناس فترة من الزمن، ويحسبهم صادقين فِي دعوتِهم لكثرة لمعان الأسلوب، ولكنه لا ينطلي علىٰ الله الذي بيده النجاح والتوفيق، فعليهم أن يراقبوا الله وحده لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله، لا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو المستعان.

٤- المناهج التعليمية

مِمَّا منيت[١] به الدعوة الإسلامية فِي هذا العصر أن كثيرًا ممن يتصدون للدعوة إِلَىٰ الإسلام أولئك الذين يتخرجون في الجامعات الَّتِي تدرس تلكم المناهج العقيمة البالية الَّتِي لا تنتج إلا الجهل بحقيقة الإسلام، والجمود الفكري، وبرودة الهمة.

فيتخرج الطالب فليس أمامه أي هدف إلا البحث عن وسيلة العيش فقط، فيأخذ يطرق جميع الأبواب الَّتِي تؤمن له العيش، فإذا لَم يجد سبيلًا إِلَىٰ ما يريد أن يوظف كداعية، أخذ شهادته المزركشة فِي طولها وعرضها علىٰ الجهة المسئولة عن الدعوة رسميًّا فوظف تحت عنوان: «**الداعية**»!!

فينْزل الداعية الجديد الميدان ليدعو إِلَىٰ الله وليس لديه أي تصور للدعوة، فِي أسلوبها وسياستها وآدابها ودراسة أحوال المدعوين، فيتخبط خبط عشواء يمينًا ويسارًا علىٰ حساب الدعوة الإسلامية المظلومة، الَّتِي أصبحت «تكية» يتعيش منها كل محتاج إِلَىٰ العيش.

هل يقوم بواجب الدعوة أو لا يقوم؟ هذا السؤال غير وارد...

❋ ❋ ❋

نوعية المنهج

يحسن بنا أن نعرف شيئًا عن هذا المنهج الذي تحدثنا عنه ووصفناه بأنه منهج غير صالح، وأنه عقيم، لئلا يكون كلامنا مجرد دعوىٰ لا بينة لَها، فلنتخذ من مواد

---

(١) أي: ابتُلِيتُ، يقال: مُنِيتُ بكذا وكذا؛ أي: ابتليت به. «لسان العرب» (٦/ ١٠٢)، مادة «مَنِيَ».

المنهج كله ثلاث مواد رئيسية لتمثل المنهج كله فيما قلنا عنه:

١- مادة التوحيد.

٢- مادة الفقه.

٣- مادة التاريخ.

أولًا: أن مادة التوحيد ليس لَها قسم خاص، وإنَّما تدرس فِي قسم الفلسفة، وهذا يعنِي أن التوحيد عندهم مادة من مواد الفلسفة، وفِي الواقع أن الفلسفة شيء والتوحيد شيء آخر لا صلة له بِها إن كان التوحيد هو ذلك الذي نطق به الكتاب والسنة، ولا علاقة لفلسفة أرسطو وأفلاطون بالتوحيد الذي يؤخذ من الوحي، الثرىٰ غير الثريا.

بعض الكتب المقررة في مادة التوحيد:

من أمهات الكتب الَّتِي تدرس فِي هذه المادة الخطيرة:

١- «أم البراهين».

٢- «حاشية الباجوري علىٰ السنوسية».

٣- «حاشية الباجوري علىٰ جوهرة التوحيد».

٤- «حاشية الدسوقي».

٥- «الهدهدي».

٦- «الشرقاوي»... إلخ.

الموضوعات الَّتِي تشتمل عليها هذه الكتب:

تبحث هذه الكتب الموضوعات التالية:

- مبحث الاستواء والعلو.

- مبحث المحبة والرحمة.

- مبحث الغضب.

- مبحث الكلام. وغيرها.

ولكننا نخص بالبحث هذه الصفات الَّتِي اخترناها لأهميتها، وهذه الصفات كلها يدرسها الطالب لا ليثبتها ويؤمن بِها علىٰ مراد الله ومراد رسوله كما جاءت، ولكن يدرسها ليتعلم كيف يردها، يعطلها وينفيها عن الله بدعوىٰ أنَّها لا تليق بالله، علىٰ الرغم بأن الله هو الذي أثبتها لنفسه.

﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[1]، والله سبحانه وتعالىٰ هو أعلم بما يليق به، ثُمَّ يسمون ذلك التعطيل والنفي تأويلًا وتنزيهًا، وهل يغير حكم الخمر تسميتها ماء زلالًا أو لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين؟!

فتجد الطالب يدرس ما لا يقبل عقله الحر لو ترك علىٰ حريته، ولكنه مضطر أن يدرس، وأن يقبل كل ما يدرسه مِمَّا جاء فِي تلك الكتب، مكره أخاك لا بطل، فيقول المنهج مثلًا: لا يجوز أن يعتقد بأن الله في العلو. وآيات الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، والعقل الصحيح، والفطرة السليمة؛ كل أولئك يثبتون علو الله علىٰ خلقه، وأنه ليس فِي ذاته شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء من ذاته، وهو فوق سمواته بائن من خلقه، بل كل واحد يجد من نفسه ما يدفعه إِلَىٰ اعتقاد العلو، ويرفع أكف الضراعة إِلَىٰ العلي الأعلىٰ قبل أن يستشير علماء الكلام: هل ذلك لائق أم لا؟ وهو أمر فطري ولَم ينقل خلاف ذلك إلا عن بشر المريسي[2] أحد

---

(١) البقرة، آية: (١٤٠).

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، مات سنة (٢١٨)هـ. قال الذهبي: مبتدع ضال. وانظر كلام الأئمة فيه. «السير» (١٠/ ١٩٩- ٢٠٢)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٣٢٢)، وللإمام الدارمي ردٌّ =

الجهمية أنه يقول: سبحان ربي الأسفل.

قبحه الله هو وأتباعه.

فيعيش الطالب حياته كلها فِي هذه الاضطرابات الفكرية حائرًا، ما يدري ماذا يفعل؟

هل يصدق المنهج علىٰ علاته فيقع في الإلحاد فِي صفات الله وأسمائه؟ وهل يتجرأ علىٰ مخالفة المنهج ليتبع ما جاء به جبريل إِلَىٰ مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام - من ربه وفِي ذلك صلاحه ونجاحه؟!

فلنسمع بعض النصوص الَّتِي يرىٰ المنهج وجوب تأويلها وأن ظاهرها لا يليق بالله:

١- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(١)]، «إن الله كتب كتابًا وهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[(٢)].

٢- ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(٣)].

٣- «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[(٤)].

=

عليه بعنوان «نقض الإمام عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد».

(١) طه، آية: (٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٠٤)، ومسلم برقم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) التوبة، آية: (٦).

(٤) رواه أحمد (٢/ ١٦٠)، وغيره، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله بشواهده في «الصحيحة» (٢/ ٥٩٤ -٥٩٦) برقم (٥٩٥).

٤ - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾[1].

هذه النصوص وأمثالها نزلت علىٰ الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وعلمها أصحابه، وفهموها، وآمنوا بِها، ولَم يروا وجوب تأويلها، بل لَم يتكلموا فيها بشيء، وهكذا من بعدهم من التابعين إلَىٰ عهد المأمون العباسي فِي المائة الثانية، فدبت فتنة الكلام إلَىٰ صفوف المسلمين بواسطة الكتب اليونانية المترجمة إلَىٰ العربية فِي الفلسفة والمنطق.

فسلطت الفلسفة علىٰ المطالب الإلهية، فأعرض الناس عن النصوص فِي هذا الباب، فصاح فيهم شيطان الفلسفة وعلم الكلام بأن النصوص لا تفيد اليقين وأنَّها ظنية، وأن الأدلة العقلية هي اليقينية ودعو عنكم الظنية إلا حين توافق اليقينية، ومن تاريخ هذه الصيحة المنكرة أصاب منهج التوحيد انحراف خطير، فشب علىٰ ذلك الوليد وشاب الكبير، فأنكروا استواء الله علىٰ عرشه علىٰ ما يليق به، كما أخبر عن نفسه، كما أنكروا أن يكون القرآن كلام الله، وأنه يحب أولياءه ويحبونه، وأنه يرحم عباده علىٰ ما يليق به، ويجيء لفصل القضاء يوم القيامة كما يليق به سبحانه.

والطالب الذي يدرس المنهج يتعلم فلسفة التعطيل والتحريف، فيتخرج موحدًا - أي: معطلًا ومنحرفًا -، فتصبح كلمة التوحيد ولفظة الموحد من ألفاظ الأضداد[2].

---

(١) الفجر، آية: (٢٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن أهل الكلام:... كَثُرَ في باب الدين اضطرابهم، وغَلُظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف علىٰ نهاية إقدامهم بما انتهىٰ إليه، أمرهم حيث يقول:

=

=

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كف حائر علىٰ ذقن أو قارعًا سن نادم

وأقروا علىٰ أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم؛ كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذىٰ ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2]، واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[3]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾[4]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[5].

ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت علىٰ عقيدة أمي.

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

---

(١) طه، آية: (٥). (٢) فاطر، آية: (١٠).

(٣) الشورىٰ، آية: (١١). (٤) طه، آية: (١١٠).

(٥) والقائل هو الرازي. وانظر «السير» (٢١/ ٥٠١).

=

=

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك علىٰ عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارىٰ المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به علىٰ سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟!

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلال اليهود والنصارىٰ والصابئين، وأشكالهم وأشباههم، أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!

وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدىٰ أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولىٰ علىٰ كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدىٰ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين،

=

الفقه:

وأما مادة الفقه فهي عبارة عن آراء بعيدة وخالية عن الأدلة، بل هي مسائل فرضية لا صلة لَها بالواقع، أو استحسانات شخصية لا طعم لَها ولا لون، وكل

=

والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره علىٰ نفسه، وبشهادة الأمة علىٰ ذلك، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدًا معينًا، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء...اهـ[1].

ورحم الله الإمام الشوكاني، فإنه دخل في علم الكلام ثم خرج منه بتوفيق الله، فأخذ يذمه كما في كتابه «التُّحَف في الإرشاد إلىٰ مذهب السلف» (١/ ٢٦٩) ضمن «الفتح الرباني»، فقال: وها أنا أُخبرك عن نفسي، وأُوضح لك ما وقعت فيه في أمسي، فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شُغِلتُ بهذا العلم الذي سموه تارةً علمَ الكلام، وتارةً علم التوحيد، وتارةً علم أُصول الدين، وأكببت علىٰ مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، وَرُمْتُ الرجوع بفائدة، والعود بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إليّ مذهب السلف، علىٰ أني كنت قبل ذلك عليه، ولكن أردت أن أزداد فيه بصيرةً وبه شغفًا، وقلت عند النظر في تلك المذاهب:

وَغَايَـةُ مَـا حَـصَّلْتُهُ مِـنْ مَبَـاحِثِي ... وَمِنْ نَظَـرِي مِـنْ بعـدِ طُـولِ التَّـدَبُّرِ

هُوَ الْوَقْفُ مَا بَيْنَ الطَّـرِيقَيْنِ حَـيْرَةً ... فَـمَا عِلْـمُ مَـنْ لَمْ يَلْـقَ غَـيْرَ التَّحَـيُّرِ

عَـلىٰ أَنَّنِـي قَـدْ خُـضْتُ مِنْـهُ غِـمَارَهُ ... وَمَـا قَنَعَـتْ نَفْـسِي بِـدُونِ التَّبَحُّـرِ

(١) «الفتوىٰ الحموية» صـ(٨-٩).

طالب يدرس آراء تنتمي إِلَىٰ مذهب معين محاولًا أن يثبت أن آراء وقياس مذهبه أفضل من آراء وقياس مذاهب الآخرين، ولا يمرن الطالب علىٰ استنباط الأحكام من الكتاب والسنة علىٰ أنَّهما مصدران للتشريع الإسلامي، وعلىٰ الرغم من ذلك يتخرج عالِمًا من علماء المسلمين، وداعية إِلَىٰ الله تعالىٰ.

❁ ❁ ❁

[قِدَمُ انحراف المنهج التعليمي]

وفي الواقع أن انحراف المنهج التعليمي ليس وليد العصر الحديث، بل راجع إِلَىٰ القرون الَّتِي خلت.

فلنسمع للعلامة ابن القيم[1] وهو يتحدث عما أصاب المسلمين كنتيجة لانحراف المنهج التعليمي، والعلامة ابن القيم من أعيان القرن السابع الهجري يتحدث عما أصاب المسلمين من الإعراض عن الكتاب والسنة وهو يقول: «لَمَّا أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بِهما، وعدلوا إِلَىٰ الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ؛ عرض لَهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة فِي قلوبِهم، وكدر فِي أفهامهم، ومحق فِي عقولهم.

إِلَىٰ أن قال: قامت فيهم البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوىٰ مقام الرشد، والضلال مقام الهدىٰ، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، ثُمَّ قال رَحِمَهُ اللهُ: فإذا رأيت في دولة هذه الأمور أقبلت وراياتها قد نصبت وجيوشها قد ركبت؛ فبطن الأرض والله خير من ظهرها، وقلل الجبال خير من السهول،

---

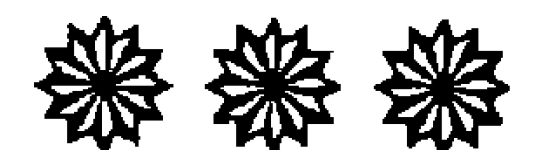
(١) تقدمت ترجمته.

ومخالطة الوحش خير من مخالطة الناس[١]، والله المستعان.

مادة التاريخ:

فأما مادة التاريخ، فهي عبارة عن سرد حوادث وقعت فِي القرون الخالية، وأماكن وقوعها وزمانها والأخبار بأن فلانًا ولد في اليوم الفلانِي فِي السنة الفلانية، وكان وفاته فِي عام كذا، إِلَىٰ آخر تلكم الحكايات، ولا يتفقه الطالب فِي فقه السيرة وعبر التاريخ، ولا يعلم شيئًا عن أخبار أبطال المسلمين وترجمة أئمة المسلمين وعلمائهم.

وهكذا يتخرج من هذا المنهج الجدليون، والقصاصون، وأصحاب الآراء الذين يجيدون كيف يفرضون المسائل الفرضية الَّتِي لا وجود لَها فِي دنيا الناس، ولقد ملأ هذا الصنف معاهدنا وجامعاتنا ومراكز الدعوة دون جدوىٰ منهم فِي مجال الدعوة، بل صاروا عقبة فِي سبيل الدعاة الصالحين والعلماء العاملين، والله المستعان.



(١) «الفوائد» صـ(٤٨) ط دار الكتب العلمية.

٥- بعض الطوائف المنحرفة الَّتِي تعمل باسم الإسلام

ومِمَّا منيت به الدعوة الإسلامية فِي العصر الحديث وجود طوائف تعمل فِي ميدان الدعوة باسم الإسلام، ومن تلكم الطوائف: القاديانية[1] التي نشأت بالقارة الهندية وباضت وفرخت قبل أن يحرك علماء المسلمين المسئولين عن الدعوة الإسلامية أي ساكن، بل لَمْ يفطنوا لَهَا ولانحرافها إلا بعد أن تمكنت فِي القارة فِي طولها وعرضها، واستفحل أمرها، فألفت الكتب ووزعتها، وأنشأت المدارس، ونشرت مبادئها، ثُمَّ أخذت تنتشر فِي أطراف الدنيا.

والمدهش من أمر علماء المسلمين المهتمين بالدعوة الإسلامية فِي القارة الَّتِي ظهرت فيها القاديانية أول ما ظهرت وفِي الجهات الَّتِي ظهر فيها نشاطها أخيرًا

---

(١) **القاديانية**: حركة نشأت سنة (١٩٠٠)م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكلٍ خاص، حتىٰ لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو «مجلة الأديان» التي تصدر باللغة الإنجليزية، وأبرز شخصياتها هو ميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ - ١٩٠٨)م ينتمي إلىٰ أُسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهكذا نشأ هو وفيًّا للاستعمار ومطيعًا له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ حتىٰ يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي، وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد مشهورًا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات. وانظر «الموسوعة الميسرة» (١/ ٤١٦).

والعجيب من أمرهم أنَّهم لَمْ يحركوا بنت شفة فِي استنكار مبادئها، وبيان زيفها، وتحذير الناس منها، إلا فِي الآونة الأخيرة بعد أن تمكنت فِي الأرض - كما قلت سابقًا -، وعلىٰ الرغم من القرار الذي اتخذته بعض الجهات الإسلامية بأن القاديانية تعتبر أقلية إسلامية فِي أرضها، علىٰ الرغم من ذلك، فلا تزال الطائفة تزاول نشاطها فِي الجهة نفسها، وفِي الجهات الأخرىٰ الَّتِي انتشرت فيها سابقًا، كبعض دول إفريقيا.

وتعتبر الطائفة ونشاطها عقبة أمام دعاة الحق فِي تلك الجهات، وقد استمالت قلوب العوام بتلك النفقات الباهظة الَّتِي تنفقها علىٰ المدارس والمؤمنين بِها بسخاء منقطع النظير.

فالواجب علىٰ جميع الجهات المسئولة أو المهتمة بالدعوة السعي فِي إيقاف هذا النشاط الهدام كليًّا، طالما ثبت كفر هذه الطائفة وردتُها بتكذيبها نصوص الكتاب والسنة الَّتِي تنص بأن مُحَمَّدًا - عليه الصلاة والسلام - خاتم النبيين ولا نبي بعده.

وبذلك نكون قد عملنا شيئًا فِي تقليل المشكلات الكثيرة الَّتِي عرقلت سير الدعوة فِي كثير من الجهات، وشغلت بال الدعاة، علمًا بأن القضاء علىٰ نشاطهم ليس بالأمر السهل، بل الموقف يحتاج وقتًا غير قصير مع وجود الحزم والصدق؛ لأن كثيرًا من عوام المسلمين الذين لا يفرقون بين الشحم والورم قد اعتنقوا مبادئ هذه الطائفة منذ أمد بعيد، وافتتنوا بها، فشغلت أذهانَهم الخالية بأفكارهم المسمومة، وخدعتهم أساليبهم المعسولة، ولقنوهم الكفر والإلحاد باسم الإسلام، صحيح أن نشاط هذه الطائفة بدأ يضعف فِي بعض الجهات الَّتِي كانت قد تمكنت فيها، وذلك بنشاط أهلي محلي قد يقوم به سكان المنطقة كما لاحظنا ذلك فِي نيجيريا فِي هذه الأيام القريبة، فقد علمت فِي أثناء زيارتي الأخيرة لنيجيريا فِي

بعض المناسبات بأن نشاط القاديانية قد خف الآن حَتَّىٰ انحصر في المدارس الثانوية، بل قد أخذ القاديانيون المحليون يراجعون الإسلام من جديد بعد أن كانوا دعاة مخلصين للقاديانية، هذا خبر سار ولكنه لا يجعلنا نتكل ونترك العمل في القضاء علىٰ هذا النشاط فِي جميع مراحل مدارسنا ومؤسساتنا، وبالله التوفيق.

وإذا كنا قد تساهلنا عند ظهورها كما رأينا فلا ينبغي أن نتساهل مرة أخرىٰ وهي مدبرة، إذ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، والله المستعان.



٦- الاستعمار الغربي

الحديث عن القاديانية يذكرنا المشكلة الأم، ألا وهي الاستعمار الغربي؛ لأن القاديانية، بل وجميع الطوائف المنحرفة الَّتِي تكيد للإسلام والمسلمين باسم الإسلام، أغلبها من منتجات الاستعمار أو أصدقاء الاستعمار، بل إن بعض الطوائف الصوفية كان لَهَا علاقة قوية وودية مع الاستعمار أيام كان الاستعمار يفسد في هذه المناطق الإسلامية كالمرغنية وفروعها، عرف الناس ذلك أم جهلوا إلا الخواص[1].

إن الاستعمار الغربي الذي سيطر علىٰ كثير من البلدان الإسلامية لَمْ يكن مخططه أن يستغل خيرات البلاد ويستعبد سكانَها فحسب - كما يظن البعض - بل كان من أهم مخططاته محاربة الإسلام وتجهيل المسلمين بدينهم علىٰ حقيقته بجميع الوسائل الممكنة له الظاهرة والخفية

الوسائل الَّتِي استعملها الاستعمار في محاربة المسلمين:

١- نشر الثقافة الغربية علىٰ نطاق واسع، مع السعي في التخفيف من الثقافة العربية الإسلامية أو القضاء عليها إن أمكن ولو مع طول الزمن.

٢- تشجيع مدارس التبشير المسيحي، وتدوين مناهجها لكي ينصرف أبناء

---

(١) انظر ملحقًا مهمًّا بآخر تعليقي المسمَّىٰ «التعليق الوفي علىٰ رسالة رد علىٰ صوفي» لشيخنا النجمي رَحِمَهُ اللهُ، فيه بيان تعاون الصوفية مع المستعمر لضرب الإسلام وأهله.

المسلمين إليها تاركين مدارسهم الإسلامية، وقد نجح في ذلك كله[(١)].

---

(١) هذه المدارس التي غزت ديار المسلمين لِتَصْرِفهم عن عقيدتهم ودينهم وهويَّتهِم الإسلاميَّة منتشرة باسم: «المدارس الأجنبية»، ويقال: «الإفرنجيَّة»، و«الغربية»، و«الحديثة»، و«العالمية»، و«مدارس دنلوب» نسبةً إلىٰ القسيس دنلوب الذي تولىٰ كبرها في مصر، ويسميها بعض علماء المسلمين: «المدارس الاستعمارية»، أما أسماؤها العامة باعتبار هدفها التبشيري بالنصرانية هي: «الإرسالية» - البعثات النصرانية - «الإنجيلية»، «التنصيرية»، «التبشيرية»، «الشيوعية»، «البروتستانتية»، «الكاثوليكية»، «الأرمنية» ويسميها بعض المستشرقين: «دق الأسْفين»، يقال: دَقَّ بينهم أسفينًا؛ أي: فرق بينهم، كما في «المعجم الوسيط» (١/ ١٨).

وتسمَّىٰ مدارس المبتدئين باسم «مدارس التلقين»، وهي التي تسبق التعميد، وباسم «مدارس الأحراش».

أما تاريخها: فكانت أول شرارة قدحت في افتتاح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين في بيروت: بإنشاء مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية سنة (١٨٣٠)م لأن البنات سيكن أمهات، فإذا تربين في هذه المدارس النصرانية أثَّرن علىٰ أولادهن!! وكانت تُعْنَىٰ ببنات الأُسر والبيوت الكبيرة اللاتي ستكون لهنّ السيطرة علىٰ الجيل المقبل، ولهذا قال بعض دعاتهم: إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني!!

ولبنان هو الذي تركزت فيه جهود الأمريكيين والفرنسيين.

وفي مصر عام (١٨٤٠)م من خلال البعثات التنصيرية قام الآباء بتأسيس الكلية =

=

الفرنسية بالإسكندرية، والجمعية الإنجيلية البروتستانتية، ثم تبعتها مدارس الآباء اليسوعيين عام ١٨٨٠م، مقدمة لاحتلال مصر عام ١٨٨٢م، وبلغ عدد مجموع الطلاب من المسلمين ٧١١٧ طالبًا مسلمًا حتىٰ ١٨٩١م، وكان انتشار المدارس الأجنبية فيها مكثفًا، حتىٰ إنّها الآن تبلغ عشرات الآلاف من المدارس، ويبلغ نسبة الدارسين فيها من المسلمين ٥٢٪ من الطلاب بمصر، ويشير مؤرخو المدارس الأجنبية أن الجالية اليونانية كلما حلوا في بلد أنشئوا فيه كنيسة ومدرسة، كما فعلوا في الإسكندرية عام ١٨٤٣م، ثم في المنصورة، وطنطا، وبورسعيد، والسويس، والقاهرة، وغيرها.

وهكذا الجالية الإيطالية منذ عام ١٨٦٢م، والجالية الألمانية عام ١٨٦٦م، واليهود منذ عام ١٨٧٢م، والمارونيين السوريين، وكانت أولىٰ الجاليات الجالية الأرمنية عام ١٨٢٨م في بولاق.

ونشرت مجلة «المجتمع» عددها ٣٥٠ في ٢٩/ ٥/ ١٣٩٧ موافقة السادات لكارتر علىٰ إنشاء جامعة في مصر للتبشير بالدين المسيحي في الوطن العربي بشرط قيام الحكومة الأمريكية بتمويلها.

وفي سوريا في نحو هذا التاريخ جهود موسعة لفتح المدارس الإرسالية، حتىٰ كان نصيب سوريا وحدها من المدارس الأمريكية عام ١٩٠٩م: (١٧٤) مدرسة في المدن والقرىٰ، ثم تطورت بهم الحال إلىٰ إنشاء الكليات للتعليم العالي، وكان أولاها في بيروت سنة ١٨٦٢م التي تحولت فيما بعد باسم: (الكلية السورية الإنجيلية)، ثم هي اليوم: (الجامعة الأمريكية في بيروت).

=

ثم فتحوا في استانبول (كلية روبرت)، ومن خبرها أن أول مُنَصِّرٍ أمريكي وصلَ إلىٰ استانبول عام ١٨٣١م، فولد له مولود فيها وسمّاه: «قسطنطين واشنطن» للربط بين تركيا وأمريكا؛ لنجاحه في مهمته التنصيرية.

وفي عام ١٨٦٣م طرح المنصِّر هاملين علىٰ صديقه روشلد اليهودي إنشاء مدرسة ثانوية بجوار «قلعة الروملي» قائلًا: «لقد أنشأ الأتراك حصنًا لفتح اسطانبول، وأنا سأُنشئ هنا مدرسة لهدمهم».

وكان من عملاء هؤلاء المنصرين في تركيا الجنرال: أحمد وفيق باشا الذي أَمَّن أَرضًا للمدرسة؛ ولذا لما سُئِلَ السلطان عبد الحميد الثاني عن المكان الذي سيدفن فيه الجنرال، قال: «في قلعة الروملي»؛ ليستمع الرجل الذي باع للبروتستانت أَرضًا ليؤسسوا عليها صوت أجراسهم، أَصوات هذه الأجراس إلىٰ يومِ القيامة[1] انتهىٰ.

ثم في القاهرة: (الكلية الأمريكية).

ثم أنشأ الفرنسيون كلية في مدينة: (لاهور) من مدن الهند.

وفي السودان: أسس الإنجليز كلية في الخرطوم عام ١٩٠٣م باسم: (كلية غوردن) باسم ضابط إنجليزي.

وفي السودان من أنوع المدارس والبعثات التنصيرية الشيء الكثير، بل إن عدد الكنائس في الخرطوم يفوق عدد المساجد!! وأما في جبال النوبة فقد استولت علىٰ التعليم فيها الإرساليات البريطانية منذ عام ١٩١٩م، وحاصرت توسع

(١) المدارس التنصيرية صـ(١٧- ١٩، ٢٠) إصدار مركز البلقان.

=

الإسلام واللغة العربية، وأقفلت ما يفتح من المدارس الإسلامية عام ١٩٣١م.

وفي العراق: في أوائل القرن العشرين الميلادي كانت أول مدرسة تبشيرية في البصرة: (مدرسة للبنات) ومكتبة في العشائر، ثم انتشرت مدارسهم في أنحاء العراق.

وفي موريتانيا: جاء في كتاب: «بلاد شنقيط» للخليل النحوي صـ(٣٥٧ – ٣٦٠) ما مختصره عن المدارس الفرنسية:

«وتلك حقيقة أدركها السكان الذين جعلوا المدرسة - الفرنسية - نازلة فقهية، فطرحوا علىٰ بساط الجدل الفقهي مسألة حكم إرسال الأبناء الصغار إلىٰ مدارس الكفّار.

وكان من المستفتين شعرًا محمد بن محمد المصطفىٰ البارتيلي، من أَهل بوتيلميت الذي قال:

مِلْحَ البلاد مَا جَوَابُ سَائِل — عن حكم أمر في البلاد نازل

إسْلَامُنا أَولادَنا الصغارا — طَوْعًا إلىٰ مدارس النصارىٰ

اعتبر بعض العلماء الاستفتاء من باب السؤال عن المعلوم، و«السؤال عن المعلوم مذموم»، وواجه بعضهم بالصمت خوفًا أو تقية، وأَجاب بعضهم تلميحًا فوق التصريح. وكان الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الرحمن بن فتىٰ الشقروي من فرسان هذا الميدان، فقد قاوم المدرسة الفرنسية، وظل يرفضها حتىٰ بعد استقلال البلاد، وله في ذلك شعر كثير.

وإلىٰ تحريم المدرسة الفرنسية ذهب المختار بن بلول المتوفىٰ سنة ١٣٩٨/ ١٩٧٨م =

في فتوىٰ منشورة صرح فيها بمنع إرسال الأطفال إلىٰ المدرسة الفرنسية، مذكرًا بأن كل مولود يولد علىٰ الفطرة حتىٰ يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما جاء في الحديث، وعلىٰ أبوي الطفل ومعلميه حراسة عقيدته ورعايتها، فقد نُهِيَ الرجال البالغون عن مجالسة أهل البدع، فكيف بالصبيان.. ونقل المختار كلامًا في المعنىٰ عن ابن الحاج في كتابه «المدخل»، وعن النبهاني في كتابه: «إرشاد الحيارىٰ في تحذير المسلمين من مدارس النصارىٰ».

وهكذا وقعت المدرسة الفرنسية علىٰ الشناقطة وقع الصاعقة، وكانت تفتح في الأحياء والقرىٰ بقرار مركزي لا يُسْتَأْمَرُ السكان فيه، ولا يُعذرون في عدم تنفيذه، فنفرت من العلماء طائفة تطلب النجدة من المدرسة - الكارثة.

من ذلك أن الإدارة الاستعمارية قررت في الخمسينات فتح مدرسة في حي «أولاد أعمر أكداش» الحسنيين، فهب الشيخ محمد حامد ابن آلا المتوفىٰ سنة ١٣٧٩/ ١٩٥٩م لإجهاض القرار، فاستنجد بزعيم قبيلته محمد بن إبراهيم بن الشيخ الحسن وبالشيخ عبد الله بن الشيخ سيديا، وكانا مسموعي الكلمة عند الفرنسيين.

وقد آتت جهود الشيخ محمد حامد أُكلها، فتقرر إِلغاء المدرسة وتلقّىٰ الحي التهاني بهذا النصر العظيم، فحمد الله عليه بلسان الشيخ أحمد بن أحمد دام:

الحمد لله علىٰ ما نَفَّسَهْ ... من الكروب وسقوط المدْرَسَهْ

إلىٰ آخره... انتهىٰ.

وهكذا بذروا مدارسهم لتعليم أولاد الجاليات الأجنبية، ثم آلت إلىٰ محاضن

لأولاد المسلمين في عامة أقطار العالم الإسلامي، ولم يبق إلا قلب الجزيرة العربية، وفي عام ١٤١٩ افتتحت المدارس الأجنبية في قلب الجزيرة العربية، فكانت أول دفعة منها تربو علىٰ (١٠٠) مدرسة في أنحاء مختلفة، وقد أفرزت بعض هذه المدارس نشرة تبشيرية في شهورها الأولىٰ من الافتتاح، كما جرىٰ اللباس للطالبات في احتفال التخرج بلباس الراهبات!!:

لمثل هذا يموتُ القلب من كَمَدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

أما الأولويات في فتح هذه المدارس فهي كالتالي:

١- الأولوية للبلاد التي يكثر فيها الفقر والجهل؛ لأن كُلًّا من عاملي الجهل والفقر ينتج الفرصة أكثر لنشر الانحراف، وبخاصة إلىٰ التنصير.

ولذا كثفوا نشاطهم في مجاهل أَفريقيا، وأَدرك أَعداء الله عُبّاد الصليب مأربهم، ويُجسِّدُ هذا التأثير بعض الأَفارقة، فيقول: «عندما جاء النصارىٰ إلىٰ بلادنا كان لديهم الإنجيل ولدينا الأرض، واليوم لدينا نحن الإِنجيل ولديهم الأرض».

٢- الأولوية للبلاد التي يكثر فيها الصراع الفكري، والتعدد الملي، مثل: لبنان، ومصر، وسوريا، وفلسطين، والأردن، والهند، والباكستان...

٣- الأولوية للولايات ذات الرقع الصغيرة؛ لضعف نفوذها ومعنويتها.

٤- الأولوية في مجال مراحل التعليم، فتح محاضن الأطفال؛ لأن سن الطفولة وما قاربها هو البيئة الخصبة لتلقيح التنصير، وسهولة التحويل، وسرعة التأثير، قبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية عقيدة وشريعة.

٥- الأولوية في مجال الجنسين للبنات؛ لأن البنات سيكنّ أُمهات، وهن أسرع

=

وأقوىٰ تأثيرًا علىٰ مواليدهن من الآباء، فتؤدِّي الأم الغرض الاستعماري في قلوب أولادهن بلا مؤونة، يقول أحد المبشرين - «جسب» -: «إن مدارس البنات في بلاد الإسلام هي بؤبؤ عيني، لقد شعرت دائمًا أن مستقبل الأمر في سوريا إنما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها».

وقبل هذا وبعده المقايضة لقاء الاستعمار المعنوي، مثل: سابقة يد الإفضال، وعمليات الإنقاذ من الأزمات السياسية، والصحية، والاقتصادية، وغيرها، من خلال هذا الاستعمار المعنوي يُقْحمون أُولىٰ وسائلهم للاستعمار الفكري: «المدارس»، باسم الإِمداد بالتعليم الحضاري.

وأما بالنسبة لبرامج المدارس الاستعمارية وإدارتها وأساتذتها فإنه لما كان هناك أهداف من وراء فتح المدارس الاستعمارية في بلاد المسلمين، فليس غريبًا أن تُتَّخذ التدابير اللازمة، والضمانات الكافية، لتحقيق تلكم الأهداف والغايات؛ ولهذا وجهوا العناية إلىٰ الآتي:

١- برامج التعليم فيها ومناهجها هي المتبعة في بلادها، وعلىٰ اتصال دائم بخطط التعليم القومي الديني في بلادها.

٢- الابتعاد في مناهج هذه المدارس الاستعمارية عن المناهج الرسمية للبلد المسلم التي تُفْتَحُ فيها؛ لأن التقيد بها يفقدها عنصرًا أساسًا في صفتها التبشيرية؛ ولهذا تشتد مطالبتها بجعل التعليم حُرًّا.

٣- اختيار المدرسين الذين علىٰ مللهم ونحلهم علمًا وتطبيقًا، من القسس والرهبان وغيرهم من الكفرة والملاحدة.

=

=

٤- رصد أضخم ميزانية في العالم لمواجهة الإسلام من طرق شتىٰ، أهمها ما يصرف علىٰ المدارس والجامعات ورياض الأطفال.

أما بالنسبة لوسائل الإغراء في التعليم الاستعماري فإنه لفظاعة الأهداف والغايات الإفسادية في المدارس الاستعمارية، وعظيم نكايتها بالمسلمين بين الإلحاد والإباحية، لبسوا لها المسوح من اللين، وأَفاضوا بغشاوة علىٰ أَبصار المسلمين، وخادعوا بصائرهم، وأَتقنوا فَنَّ الخداع والمكر، إنّها وداعة الأفعىٰ في صورة العلم والحضارة والتقدم والثقافة، ثم سياسة الانفتاح والخلط والعولمة، فهرع إليها جهّال المسلمين وفسقتهم ومُرَّاقُهم، ولذا صارت الإِغراءات بها في مرحلتين:

المرحلة الأولىٰ: وسائل إغراء هي بمثابة: «بطاقة الدخول» للمدارس الأجنبية - نظام التعليم الغربي- في البلاد الإسلامية.

فأُنشئت باسم أَنها:

١- مدارس تثقيفية تهذيبية تهدف إلىٰ التثقيف العام وتنوير الأذهان.

٢- ولنشر العلوم الحضارية بين المسلمين.

٣- وإقناع الناس بأنها نماذج متقدمة للثقافة والعلوم وتعليم اللغات.

٤- وإيهام الناس بأنها رفيعة المستوىٰ فيلهثون وراءها مصابين بداء الغرور والاستعلاء.

٥- وباسم مكافحة ما يعانيه المسلمون من الجهل والتخلف.

٦- وباسم تعليم أولاد الجاليات.

=

=

٧- ورصد الأموال الطائلة لها وبذلها.

المرحلة الثانية: وسائل إغراء هي بمثابة: «بطاقة دخول» أولاد المسلمين فيها.

اتخذ أعداء الله وسيلتين لضمان الإقبال عليها ودفع أولاد المسلمين إليها، وهما:

١- جعلها وسيلة للرزق من ناحية جعل الأولوية للمتخرجين منها في الوظائف.

٢- أكسبوها مكانة اجتماعية تفوق مكانة الدارسين في المدارس الحكومية أو الخاصة؛ ولهذا يلقب المنتسبون إليها: بالطبقة الجديدة، والطبقة المعاصرة، والطبقة المتطورة.

أما بالنسبة لآثار المدارس الاستعمارية المدمرة، فإن الهدف ينتج الأَثر، فكل هدف من أَهداف هذه المدارس الاستعمارية تأتي آثاره المدمرة ومخاطره البالغة علىٰ المسلمين بواسطة ناشئتهم الذين ارتموا في أَحضان هذه المدارس، وقد تحقق لعبّاد الصليب وغيرهم من أُمم الكفر بواسطة مدارس الضرار هذه تكوين قوىٰ مضادة للمسلمين من أنفسهم وذراريهم وبني جلدتهم، خَلَفُوا أَساتذتهم الكفرة بِنَوْبَةِ المستعمر لبلاد الإسلام، وهم علىٰ طبقات متعددة، كل فرد منها بقدر تأثره بما تلقاه من الإِباحية والإِلحاد، وهي:

١- طبقة المتأثرين بالنصرانية:

تَجِدُ عَامَّة مَنْ كَتَبَ عن المدارس الاستعمارية يذكر نماذج لأحداث مؤلمة وقعت في قطره أَو في غير قطره من بلاد الإسلام، تكشف الأخطار التي تؤدِّي إليها هذه المدارس من الردة إلىٰ النصرانية وخدمة السياسة الاستعمارية:

- فمن الحوادث في مصر أن شابًّا مسلمًا ارتد إلىٰ النصرانية، فحمله النصارىٰ علىٰ

=

الوعظ والدعوة إلىٰ النصرانية في مجامعهم وكنائسهم، فحز ذلك في نفس جمال الدِّين الأفغاني، فاتفق مع آخرين علىٰ اختطافه وهو يعِظ في كنيسة في الأَزبكية، ففعلوا، ووضعوه في مكان خفي، فذهب هو وتلميذه الشيخ محمد عبده إِليه، وأَقنعاه حتىٰ عاد إِلىٰ دينه الإِسلام.

- وفي عام ١٣٥١ حصلت أَحداث تنصيرية في مصر مروعة لأَعداد من اليتامىٰ والقاصرين، وقد حصل لها ردة فعل من المسلمين طُرِدَ علىٰ أَثرها بعض المنصِّرين.
- وفي عام ١٤١٣ عملت بعض المدارس الأَجنبية بالكويت غِنَاءً يحكي قصة نبي الله يونس ﷺ، وفيها مقاطع افتراء علىٰ الله تعالىٰ، لتلقينه الطلاب، فأَصدرت لجنة الفتوىٰ في الكويت فتوىٰ في إنكار ذلك وبيان خطره.
- وبعض أَولياء أُمور الطلاب الذين زجوا بهم في هذه المدارس يستمع من أَولاده ترانيم كنسية، فيستغرب ذلك، وعند المتابعة يعلم أنهم قد علموهم الصلاة المسيحية.
- وكان مدرس في المدارس اليسوعية في بيروت يسأل الطلاب في صباح كل يوم: «هل أنت بنعمة الله مسيحي» فيجيبون بنعم، وفي يوم أجابوا جميعهم بذلك إِلَّا مسلمًا أَجاب بقوله: «أنا مسلم»، فناله من الغضب والأَذىٰ ما ناله، وما زال المدرس به حتىٰ أَجاب بقوله: «نعم».
- ومن حوادثها أن طالبًا يَعْلَمُ والده نشاطه وذكاءه، أخفق في دراسته، فذهب إِلىٰ المدرسة يسأل عن سبب ذلك، فأَجابته المدرسة بأَن الطالب لم يكمل تثقيفه الديني؛ لأنه شوهد يصلي صلاة المسلمين في خفية عن إخوانه، فلذا اعتبر

=

سيئ السلوك وأخفق في دراسته.

- ومن حوادثها تعلُّق الطلاب بعيد ميلاد المسيح، وإدخال بيوت أهليهم «شجرة الميلاد» وسرور أهلهم بذلك!.

٢- طبقة المسلوبين:

- ومن آثارها وجود طبقة بين المسلمين من ذراريهم مسلوبة خاوية مفرغة من موالاة المسلمين، والبراءة من الكافرين، والغيرة علىٰ الدين، يعيشون بين أَمراض الشبهات، وعقدة الشك، والصراع الفكري والعقدي، وبين أمراض الشهوات، فيعايشون الحياة الغربية بلسانهم، ومعلوماتهم، ولباسهم، ونمط حياتهم وغدوهم ورواحهم في غاية من التغريب والتفرنج.

وهم بهذه المعايشة في الفكر والسلوك ينشرون التغريب والتشبه بأعداء الله بين المسلمين.

وهذه الطبقة خسارة في الوجود الإسلامي، وانكسار في رأس مال المسلمين.

٣- طبقة المنافقين:

- ومن آثارها وجود طبقة المنافقين الذين يحملون نصيبهم من الإسلام ظاهرًا بالاسم، وعقد النكاح، وتسجيل المواليد، وتشييع جنائزهم ودفنها في مقابر المسلمين، وهم يستبطنون الإلحاد، ويظهرون الإباحية والفساد.

٤- طبقة الملحدين:

- ومن آثارها وجود طبقة الكافرين ظاهرًا وباطنًا، الذين يعلنون كفرهم وإلحادهم، فيسبون الله والرسول والإسلام، ويستهزؤون بالمسلمين، ويسخرون من الدين، وما بقي لهم من الإسلام إلا ما بقي لإخوانهم المنافقين ليزداد الفريقان

=

=

بها كفرًا، فيداخلون المسلمين بالتزاوج، وولاية الأعمال، والتصرف في شؤونهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد جَرَّد علماء المسلمين أقلامهم في التحذير من فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، والتحذير من إدخال أولاد المسلمين فيها، وقد كان لعددٍ من علماء المملكة العربية السعودية - حماها الله من كل سوء - كلمات مشهودة في هذا قبل أن تحل في ديارهم، لكن من باب البيان والنصرة لأهل الإسلام والنصح لهم.

والآن هذه نماذج من أقوالهم وأقوال غيرهم من علماء الآفاق وكتابهم، وبعض من البيانات والفتاوىٰ، وهي:

- قال الشيخ/ محمد أحمد الغمراوي رحمه الله في كتابه: «الطريقة المثلىٰ للمحافظة علىٰ كرامة الإسلام ورد عادية الطاعنين عليه» صـ(١٥) ما نصه: «وأسباب ضعف الروح الإسلامي في البالغين من المسلمين اليوم يمكن إجمالها في شيء واحد هو سوء التربية الإسلامية، وإذن فَعَلَىٰ المسلمين أن يعنوا العناية كلها بإنشاء أولادهم نشأة إسلامية في مدارس إسلامية ينشؤونها من أجل ذلك.

- ولا يَدَعُوا أولادهم فريسة للمدارس غير الإسلامية الروح، تُربيهم علىٰ غير غِرار الإسلام، وتخرجهم عنه بالتدريج، فإنّ المسلمين إن لم يصونوا أولادهم - وهم صغار - عن تحكم الملحد أو غير المسلم في عقولهم ونفوسهم لم يكن لهم أن يعجبوا من خروجهم - وهم كبار - عن طريق الدِّين، ومتابعتهم من يطعن باسم العلم أو الأدب أو حرية الرأي أو حرية التفكير» انتهىٰ.

- وقال شيخ الجامع الأزهر/ الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله في «الهداية

=

=

الإسلامية» صـ(١٥١) ما نصه: أبناء المسلمين في مدارس التبشير: من الذي يستطيع أَن يُهيئ لولده عيشًا راضيًا، وينبته نباتًا حسنًا، فينشأ سليم القلب، طاهر اللسان، صديقًا لأُسرته، عاملًا علىٰ إِعلاء شأن أُمته، ولكنه يأبىٰ أَن يفعل هذا الذي ينصح به لولده ويجني ثمار الحمد من عواقبه، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولَّاه فيها من لا يرقبون إلَّا ولا ذمة، فلا يزالون يلقنونه زيغًا، ويبذرون في نفسه شرًّا والذي خبث لا يخرج إِلَّا نكدًا.

ذلك مثل المسلم الذي يهبه الله ولدًا ليسلك به في هداية، ويعدّه لأن يكون عضوًا يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإِذا هو يبعث به إلىٰ مدارس أُسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة القومية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يُقال لها «جمعيات التبشير».

إِنّ الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أُولئك الذين كانوا يقتلون أَولادهم خشية إِملاق ببعيد، أَلم يقم الدليل إِثْرَ الدليل علىٰ أَن القائمين فيها بأمر التعليم يلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم علىٰ تقاليدها، ويتعرضون للطعن في شريعة الإِسلام بطرق شأنها أن تؤثِّر علىٰ الأَطفال ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم من شر ذلك الإِغواء؟! ليس ذلك الذي يزج بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفسًا واحدةً، ولكنه يقتل خلقًا كثيرًا، ويجني بعد هذا علىٰ الأُمة بأَجمعها، ولا أقول هذا مبالغة، فقد يصير هذا الولد أُستاذًا من بعد، ويفسد علىٰ طائفة عظيمة من أَبناء المسلمين

=

=

أمر دينهم ووطنيتهم، كما أفسد عليه أُولئك القس أمر دينه ووطنيته، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة علىٰ قوم مسلمين، فيجدون فيه الغلظة والمكر وعدم احترام الشريعة ما لا يجدونه في الناشئ علىٰ غير الإسلام» انتهىٰ.

وقال أيضًا رحمه الله في «رسائل الإصلاح» صـ(١٥٥): «ومن الذي لا يعلم أَن معاهد تقام في أوطاننا باسم العلم أو العطف علىٰ الإنسانية والغاية منها صرف النفوس عن صراط الله السوي، دَلَّ علىٰ هذا كتب يدرسونها في هذه المعاهد، وهي كما قرأنا نبذًا محشوة بالطعن في الإسلام والحط من شأن الرسول الأعظم ﷺ... وقد رأينا لهذه المدارس التي تفتح في سورية ومصر وغيرها من البلاد آثارًا محزنة.

فكم من فتىٰ مسلم بعث به إِليها فتخرج منها وهو يحمل من التنكر لقومه وشريعتهم مثل ما يحمله خصومهم المحاربون» انتهىٰ.

وقال أيضًا رحمه الله في كتابه «الدعوة إلىٰ الإصلاح» صـ(٧٤- ٧٥) ما نصه: «لم يتفشّ زيغ العقيدة فيما سلف تفشيه اليوم؛ لأن وسائل ساعدت علىٰ سريان وبائه لم توجد قبل، وأُمهات هذه الوسائل ثلاثة أمور:

أحدها: هذه المدارس التي يفتحها الأَجانب في أوطاننا باسم العلم، ويغفل بعض المسلمين عن سريرتها، فتأخذهم بمظاهرها، حتىٰ يسلموا أطفالهم وهم علىٰ الفطرة إلىٰ من يصبغ هذه الفطر بسواد، وينزع منها روح الأدب الذي يجعلهم أولياء لعشيرتهم نصحاء لأمتهم.

=

=

ثانيها: تهاون بعض الآباء بواجب أبنائهم، إذْ يرسلون الناشئ إلىٰ معاهد العلم في أُوربا قبل أن يتلقن من علوم الدِّين ما يجعل عقيدته مطمئنة، فيلاقي في أثناء الدراسة هنالك أو في بعض المحادثات شُبهًا لا يجد في نفسه من الحجج ما يدفعها، وإذا تواردت الشبه علىٰ الناشئ رانت علىٰ قلبه، وأَصبح يُبصر وجه الحق أَسود قاتمًا، فيعود إلىٰ وطنه وهو يحمل لأبويه عقيدة أنهما في ضلال قديم، وذلك جزاء من يستهين بهدي الله، ولا يهمه إلا أن يكون لابنه مورد رزق واسع، أو منصب في أحد الدواوين.

ثالثها: أن كثيرًا من الحكومات الإِسلامية ضعف فيها روح الاعتزاز بالدين الحنيف، فاستباح واضعو برامج التعليم العام في مدارسها أن لا يضربوا لعلوم الدين بسهم، ومن يضرب لها فبسهم لا يغني من جهل، والتعليم الذي يهضم فيه جانب العلوم الدينية، لا يُرجىٰ منه تهيئة نشء تتساقط عليهم الشبه فيطردونها، أو توسوس إليهم الشياطين فيستعيذون منها» انتهىٰ.

ولجماعة من علماء السعودية كلمات مضيئة في تحريم تلك المدارس الأجنبية عندما سمعوا عنها قبل افتتاحها عندهم عام ١٤١٩هـ.

قال الشيخ حسن مشاط رحمه الله - وهو من علماء المسجد الحرام - في رسالته «حكم الشريعة الإسلامية في تعليم المسلمين أولادهم في المدارس الأجنبية» صـ(٣١- ٣٢):

«أفيقوا أيها الأولياء، استيقظوا من نوم الغفلة، وارجعوا إلىٰ ربكم الجليل، ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا فتمسكم النار، واعلموا أنكم إذا سمحتم لأولادكم

=

=

بدخول تلك المدارس فقد سمحتم لهم بدخول الكنائس، وشهود طقوس الكفر، وسماع الطعن في دين الإسلام، وبكل ما تنهىٰ عنه الشريعة الغراء وتأباه الفضيلة الإنسانية، وتنبهوا إلىٰ أنكم بذلك آثمون في حق الله تعالىٰ، وحق دينكم وأمتكم، وحق أولادكم وعشيرتكم، عاصون لله ولرسوله أشد العصيان، مخالفون بذلك ما أوجبه الله عليكم نحو أولادكم من تعليمهم التعاليم الإسلامية، وصونهم من كل ما يخالف ذلك.

واعلموا أن في الحفاظ علىٰ الدِّين والأخلاق الخير والسعادة، وأن ما تتوهمونه من الجاه والمال نتيجة للتعلُّم في المدارس الأجنبية لا وزن له بجانب المحافظة علىٰ الدِّين والأخلاق الفاضلة، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤]. وصدق رسول الله ﷺ إذْ يقول: «**يوشك أن تداعىٰ عليكم الأُمم من كل أفق كما تداعىٰ الأكلة علىٰ قصعتها**» قلنا: يا رسول الله، أمِن قلة بنا يؤمئذ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوِّكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشىٰ عليكم، ولكن أخشىٰ أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علىٰ من كان قبلكم، فتنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**». انتهىٰ.

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله في «خاتمة كشف الشبهات» صـ(١٥)

=

في بيان مظاهر الوثنية الجديدة، ما نصه:

«ولا يزال خريجو المدارس الاستعمارية يركزون هذه المفاهيم في طبقات الأمة الإسلامية، وعلىٰ الأخص في المدارس التي هي أول فرصة فرض الاستعمار علينا ثقافته بوساطتها، وأخذت تعمل الأصابع الخفية التي يحركها في هذا السبيل» انتهىٰ.

وقال القاضي الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد رحمه الله في كتابه: «الهدية الثمينة فيما يحفظ به المرء دينه» صـ(١٢١ - ١٢٢):

«ومثل هؤلاء الذين يتعلمون في مدارس الإفرنج، فإن التلميذ علىٰ عقيدة أستاذه ودينه وأخلاقه، فهو أضر شيء علىٰ المجتمع الإسلامي، ولا يغتر بهم إلا جاهل...» انتهىٰ.

وللعلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله رسالة مطبوعة في ذلك نشرت في جريدة حراء في ٢٧/ ٥/ ١٣٧٨، وطبعت في الجزء السادس عشر من «الدرر السنية» صـ(٢١ - ٢٧).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في رسالته «نصيحة مختصرة في الحث علىٰ التمسك بالدين والتحذير من المدارس الأجنبية» صـ(١١ - ١٦):

«فصل: ومن الأُصول العظيمة المهمة لصلاح الدين والدنيا: السعي في إصلاح التعليم، وإِصلاح الأخلاق، لهذا يجب العناية التامة في جميع المدارس والمعاهد والتعاليم الابتدائية والنهائية في تعاليم الدين، وفي تطبيق أَخلاق الدين علىٰ المعلمين والمتعلمين، فلهذا أثره الفعّال في حسن نتائج التعليم،

وحصول ثمراته الدينية والدنيوية.

فتعاليم الدين إذا جعلت هي الأساس والأصل في التعليم، ثم طبقت التعاليم الأُخر عليها، وأنها من وسائلها ومما يعين عليها، وكلها ترجع إليها، فإن الدين يهدي ويرشد للتي هي أقوم وأصلح من جميع العلوم التي تفيد الناس في دينهم ودنياهم، ويستغنون بها عن الأجانب.

ويعلم بذلك غلط من قصر نظره وعلمه، وضعفت بصيرته، حتىٰ قدح في علوم الكون، وفي العلوم العصرية النافعة، وأعظم منه غلطًا من قبل جميع ما قيل إنه علوم عصرية نافعها وضارها، خيرها وشرها، فإن الواجب التمييز بين العلوم العصرية النافعة التي لا تؤثر في العقائد الدينية آثارًا ضارة، وبين العلوم العصرية التي سلكت ما لا سبيل لها إليه من النظريات الخاطئة الباطلة، المبنية علىٰ الجهل والضلال، وعلىٰ خلاف المعلوم من دين الرسل، فكم لهذه العلوم الضارة من الآثار والنتائج القبيحة، وكم أهلكت من ضعفاء البصائر، ومن لا معرفة لهم بالدين من أُمم، وكم كان المشتغلون بها أعداء لدينهم وقومهم وأوطانهم، وسلاحًا للأعداء عليهم.

ولهذا يجب الحذر والتحذير من دخول المدارس الأجنبية التي تدرس فيها هذه العلوم الضارة، وخصوصًا لمن لا معرفة لهم تامة في الدين، ولا بصيرة لهم فيه، فكيف يرضىٰ من عنده دين وعقل أن يضع ولده وفلذة كبده ويسلمه لمدارس أجنبية قد عُلِمَ عداؤها لدين الإسلام، بل لجميع الأديان، ولم تؤسس إلا لصدِّ الناس عن دين الله وتوحيده؟ كيف يُسْلِمُ العاقل موليه

وهو خالي الذهن من التعاليم الدينية، ومن الأخلاق المرضية، إلىٰ هؤلاء الذين يحشون ذهنه بالإلحاد والتشكيكات؟ والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]؛ أي: بتعليمهم ما ينفعهم، وتهذيب أخلاقهم، فمن لم يعلمهم العلوم الدينية، ولم يقومهم بالأخلاق والآداب المرضية، فإنه لم يمتثل ما فرض الله عليه من جهتهم، فكيف مع هذا إذا سعىٰ في تعليمهم العلوم الضارة، والأخلاق الرذيلة، فهذا من أعظم الناس جرمًا، وأقلهم دينًا، وأكبرهم إثمًا، بل ومن أضعفهم عقلًا، فإن الأولاد أكبر مغنم ومكسب للإنسان، فكيف يرضىٰ عاقل أن يفوِّت هذا المغنم، ويخسر أولاده خسارة لا تجبر، فإن الإنسان إنسانٌ بدينه وأخلاقه، فإذا ذهب الدين والأخلاق صار أضل من الأنعام، وربما وجد هؤلاء الآباء الذين رضوا لأولادهم التعلم في المدارس الأجنبية نموذج ما عملوه معهم معجلًا، ربما احتقروا آباءهم كما احتقروا غيرهم، فإن قلوبهم مملوءة كبرًا وتيهًا واحتقارًا لغيرهم، كما قال تعالىٰ في مثل هذه العلوم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦]، ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ [غافر: ٨٣].

وهذا مشاهد، فإنك تجد كثيرًا ممن يتخرجون من المدارس الأجنبية المؤسسة علىٰ الدعوة لدينهم عندهم من الكبر واحتقار غيرهم حتىٰ آبائهم ومن يجب عليهم احترامه، ويزعمون أنهم عرفوا ما لم يعرفوا، وأنهم أهل المعرفة

والعلم، وغيرهم أهل الجهل والأمية، وهم مع ذلك أجهل الخلق بعلوم الدين، وبالعلوم النافعة التي ترفع أهلها في الدنيا والآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فأخبر تعالىٰ أن الرفعة الحقيقية في الدنيا والآخرة، هي لمن جمع بين العلم والإيمان الصحيح، فهؤلاء الآباء الذين وضعوا أولادهم في المدارس الأجنبية قد خسروا دينهم ودنياهم، ولا بد أن يجدوا بعض جزائهم في الدنيا قبل الآخرة، فويلٌ لهم من الجهتين، ويل لهم مما أهملوهم وضيعوهم من علوم الدين وأخلاقه وأعماله، وويل لهم من جنايتهم الكبرىٰ إذ وضعوهم بين يدي أعداء الدين، يلقون عليهم ما يريدون، حتىٰ أخرجوهم من الدين، فما ظنك بطفل أو ضعيف البصيرة إذ سَلّمه أهله ووضعوه بين يدي معلم قد عُلِمت عداوته للدين وحرصه الشديد علىٰ الدعوة إلىٰ مذهبه وإلحاده، والحامل لوليه علىٰ هذا ضعف الدين وضعف البصيرة، والجهل الشديد، ويظن بجهله أنه بذلك ينال المراتب الدنيوية، والوظائف الراقية، وهذا جهل فاضح، فإن المراتب الدنيوية والرياسات لا تتوقف علىٰ التعليم بهذه المدارس، وكثيرًا ما تكون حائلًا عن ذلك، كما كانت حائلًا عن الدين، ولو فرض وقدر حصول ما يؤملون من نيل الوظائف فلا خير في مراتب لا تنال إلا بذهاب الدين والأخلاق، فاتقوا الله في أولادكم، فإنّهم أمانات عندكم، لا يحل لكم أن تضيعوهم، ولا تهملوهم، ولا يحل لكم أن تضعوهم في مدارس تهلك دينهم وأخلاقهم، ويتبع ذلك فساد الدنيا واختلال الأحوال،

=

فلا بُدَّ أن تُسْألوا عن أولادكم، وعما عملتم معهم، فانظروا رحمكم الله ماذا تجيبون عن هذا السؤال، هل تقولون: يا ربنا حفظنا فيهم الأمانة، وبذلنا ما نستطيع نحوهم من العناية والصيانة، فربيناهم بالعلوم الدينية، ولاحظناهم بالآداب المرضية، وحفظناهم من كل ما يعود عليهم بالضرر في دينهم ودنياهم، فإن كان هذا صدقًا فأبشروا بالرحمة والرضوان، وبالثواب العاجل والآجل، ولكم الهناء والتهنئة بهؤلاء الأولاد الصالحين الأذكياء البارين، الذين ينفعونكم في أمور الدين والدنيا.

وإن كان الجواب بعكس هذا الجواب فبشراكم بالخيبة والخسران، ويا ويحكم من الحسرة والندم، قد فاتكم المطلوب، وحصل لكم كل شر ومرهوب، وغضب عليكم علّام الغيوب، قد خسرتم دنياكم وأُخراكم، وفاتكم رشدكم وتوفيقكم وهُدَاكُم، فيا حسرة المفرطين، ويا فضيحة المجرمين.

لقد كان لكم في مدارس مملكتكم غنية كبرىٰ عن سفركم إلىٰ المدارس المنحرفة التي لا تعود عليكم إلا بكل شر.

ومن نعمة الله علىٰ أهل الجزيرة سلامتهم من البدع، ولزومهم لمذهب السلف، واعتقادهم الصحيح وعافيتهم - ولله الحمد - من مذهب الماديين الملحدين، وسعي حكومتهم الحثيث في فتح المدارس المتنوعة: الابتدائية والنهائية، وعنايتهم في علوم الدين، واختيار الأساتذة من خيرة الوطنيين وخيرة الأزهريين، وحرصهم علىٰ تعليمهم وهم في بلادهم وبين أهلهم، حرصًا علىٰ مصالحهم، وصونًا لعقائدهم عن الدخول والالتحاق بالمدارس الأجنبية

=

التي ضررها كبير علىٰ الدين والعقائد والشعب والبلاد، وبذلهم الأموال الطائلة في سبيل هذا التعليم، وتنشيط المعلمين والمتعلمين بكل وسيلة، أليس هذا من أكبر نعم الله عليكم، وأياديه الجزيلة الواصلة إليكم، فاحمدوا الله علىٰ هذه النعم، وأقبلوا عليها بجد واجتهاد، فإن فيها أكبر غنية عن مدارس الماديين أهل الإلحاد.

والحكومة - ولله الحمد - لا تزال تحث المعلمين علىٰ العناية التامة في علوم الدين وأخلاقه، وتلاحظهم في ذلك، وتضم إلىٰ علوم الدين جميع العلوم التي تعين عليه، ويتوصل به إليه، من أنواع علوم العربية، وكذلك علوم الكون التي يطلق عليها الكثير من الناس: العلوم العصرية، التي يتوصلون بها إلىٰ المنافع والمصالح الكثيرة، وتقتصر منها علىٰ كل ما فيه نفع للناس في دينهم ودنياهم، وكذلك تضم إليها المدارس الحربية مدارس الدفاع التي القصد منها: حفظ البلاد، وعز الدين والدنيا، وبها قيام الجهاد، وكل هذه المدارس لا تزال تترقىٰ في كل وقت من كمال إلىٰ أكمل، وقد ظهر من نتائجها وثمراتها ما شاهده الناس.

والحكومة لا تزال ملحة في إدخال جميع التحسينات إليها، وأولتها كل اهتمام، فنسأل الله العظيم أن يوفق الجميع حكومةً وشعبًا للتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يجمع القلوب علىٰ الخير والإقبال علىٰ كل مصلحة وصلاح، إنه جواد كريم.

إخواني المسلمين، أحذركم غاية التحذير من المدارس الأجنبية التي لم تؤسس إلَّا شركًا ومصائد يصطادون بها كل من تعلم فيها، ويلقونهم في هُوة الهلاك،

وإذا أردتم أن تعرفوا حق المعرفة نتائجها الوخيمة، وعواقبها الذميمة، فانظروا حالة المتعلمين بها، فإنهم لا يزالون في تردٍّ من سوء إلىٰ أسوأ منه؛ لأنها تنهج لهم منهجًا مرسومًا علىٰ الغاية التي يريدونها، فإنها تعمل علىٰ التحلل من الدين، ومن جميع تقاليده وأخلاقه، وأخلاق أمته، وشعائره الدينية، وفضائله السامية، وتمسخ الجيل المتعلم بها مسخًا مشوهًا، تربِّي المتعلمين تربية تضعف عقولهم، وتسلب أخلاقهم، وتتمسك بأهداب الغرب المادية، وأنها حرية أن تنتج جيلًا يحيا في عزلة تامة عن كل ما يربطه بدينه وتاريخه المجيد، فهي دائبة علىٰ المحو من أذهان التلاميذ لكل طابع وصلة بدينهم وأمتهم، فهي لا تزال تنفث في عقولهم السموم القتالة لعقائدهم وأخلاقهم، وتفضي بالعقول الصغيرة إلىٰ الشك والتشكيك والإلحاد، ولا تزال تنفخ في عقولهم روح التعظيم لأعدائهم، والإعجاب بهم والتعبُّد لهم، وهذه سلسلة عظيمة من سلاسل الاستعمار، يجرون به النشء المطاوع لهم إلىٰ كل خلق رذيل، ويبعدونهم عن كل خلق جميل.

ومضار المدارس الأجنبية لا يمكن إحصاؤها، فنسأل الله أن يوفق المسلمين شعبًا وحكومة علىٰ مقاومتها، والحذر والتحذير عنها بكل ممكن، وأن يكون لهم من براهين دينهم ما يقاومون به كل شبهة وشك وتشكيك، ولا شك أن هذا من أعظم الجهاد وأفرضه، والله الموفق، وصلىٰ الله علىٰ محمد.

قال ذلك وكتبه الفقير إلىٰ الله: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، حرره في ٥ ذي القعدة ١٣٧٤، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم» انتهىٰ.

=

ولما وقعت نازلة المدارس العالمية - الأجنبية الاستعمارية - في هذه البلاد؛ كتب رجل التعليم وأستاذ الجيل الأستاذ عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان مقالة بعنوان: «السيوف الخفية». نشرت في جريدة «الجزيرة» في العدد (١١٥١٤) بتاريخ: ١٥/ ١١/ ١٤٢٠، منها:

«سألني صديق طلب المشورة والرأي عن المدرسة التي يسجل فيها أبناءه؟

قلت: أرىٰ أن تلحقه بالمدارس الحكومية.

قال: وأين أبناؤك؟

قلت: جميعهم في المدارس الحكومية.

قال: وما رأيك في المدارس الأهلية؟

قلت: فيها الجيد وما دون ذلك، وهي كالمدارس الحكومية تتفاوت من حيث الإدارة وهيئة التدريس وبيئة المدرسة.

قال: والمدارس الأجنبية؟

قلت: تلك السيوف الخفية، التي انبهر بها بعض الآباء، وظنوا أن لها تميزًا وتفوقًا، بل ونادىٰ البعض بالتوسع فيها والترخيص لها بأن تفتح أبوابها لكل راغب، وتلك نظرة قاصرة ورؤية المغلوب للغالب والضعيف للقوي.

قال: وكيف تصفها بالسيوف الخفية؟

قلت: لأنها تفرّق ولا تجمع، وَتُشَتِّتُ ولا توحّد.

قال: ولماذا؟

قلت: تعلم أن موحد المملكة وبطلها الملك عبد العزيز طيب الله ثراه جمع المملكة

بعد شتات، ووحد صفوفها بعد تفرق، وجاء التعليم ليؤكد الوحدة ويجمع الصف، فحين كنت في موقع المسؤولية بوزارة المعارف كانت سعادتي تزداد نشوة حين أزور المدارس في مختلف المدن والقرىٰ وأجد الطلاب يقرءون منهجًا يجمعهم وكتبًا توحدهم، وكم كنت أسعد بسؤال أبنائنا في تلك المناطق عن محافظات المملكة وعن تاريخنا.... فألقاهم يجيبون إجابة واحدة، وأرىٰ المدارس تتبارىٰ في ربط أبناء المجتمع بثقافتهم الإسلامية وحضارتهم العربية... وتنشر بينهم ثقافة متجانسة تبني شخصيتهم وتقوِّي ولاءهم للمجتمع والقيادة.

قال: ومناهج المدارس الأجنبية؟

قلت: مناهج تلك المدارس ذات ارتباط بأصولها، فهي تطرح ثقافات المجتمعات التي تمثلها، والتعليم في تلك المدارس، وإن كان الجانب المادي فيها أقوىٰ وأثرىٰ، إلا أن الجانب الروحي أفقر وأجدب، والتعليم فيها يتجاهل الدين الإسلامي واللغة العربية، فضلًا عن التاريخ الإسلامي...

قال: وماذا يترتب علىٰ ذلك؟

قلت: تخرج أجيالًا متنافرة فاقدي الهوية، متعددي الاتجاهات، مختلفي التوجهات، وتُوجِد بيننا مَنِ انتهاؤه للثقافة الأمريكية، وآخر للفرنسية، وثالث للألمانية.. وهكذا.

قال: وماذا سيكون؟

قلت: يكون الهدم والبلاء والتنافر والتناحر والازدراء والسخرية بين كل فريق

وآخر، ويتشتت الاجتماع، وتنفر القلوب، وتتمزق الوحدة التي أرسىٰ قواعدها الملك الموحِّد رَحِمَهُ اللَّهُ

قال: إذًا أبارك رأيك، فالمدارس الأجنبية سيوف خفية يجب الحذر منها.

قلت: وأحمد الله، فولاة الأمور والقائمون علىٰ التعليم يدركون ذلك، وجمهرة من الكتاب يرون هذا الرأي، فالقوة الحقيقية هي في بناء الذات، وفي الاعتزاز بالهوية الإسلامية واللغة العربية... هذا وبالله التوفيق. انتهىٰ.

وفي صحيفة «الإسلام» العدد (١/ ١٣٥٢) ما نصه:

«قرار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف فيما يجب علىٰ الأمة الإسلامية اتخاذه إزاء أعمال المبشرين:

في يوم الاثنين ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ (٢٦ من يونيه سنة ١٩٣٣م) اجتمعت هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر الشريف تحت رياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بناء علىٰ الدعوة الموجهة إليهم من فضيلته.

وقد عرض عليهم فضيلته في هذا الاجتماع ما استفاضت به الأخبار من قيام (المبشرين) بتنصير أبناء المسلمين وفتياتهم في مختلف الجهات بما يتخذونه من وسائل الحيل والخديعة والإغراء تارة، وضروب العنف والإرهاب تارة أخرىٰ، وبعد البحث والمداولة قررت الهيئة ما يأتي:

أولًا: مطالبة الحكومة بأن تسن تشريعًا حازمًا حاسمًا يجتث بذور هذا الفساد ويستأصل شأفة هذا المرض الوبيل الفتّاك؛ كي يطمئن المسلمون علىٰ الدين

=

الإسلامي القويم والقرآن المجيد، وكي يكون أولادهم وإخوانهم وأقاربهم في مأمن من أن تصل إليهم يد بالاعتداء أو الإغراء لتحويلهم عن دينهم.

وقد عهدت في تنفيذ ذلك إلىٰ حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ليقوم بمطالبة الحكومة بسن هذا التشريع.

ثانيًا: إصدار البيان الآتي:

بيان إلىٰ الأُمة الإسلامية من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف:

أيها المسلمون، لقد استفاضت الأخبار بما يعمله هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (مبشرين)، وعمت البلاد من أولها إلىٰ آخرها، ووصل إلىٰ علمكم أنهم يتخذون الوسائل الفظيعة إلىٰ تنصير أطفال المسلمين، وضعفاء العقول منهم، وأنهم لا يخجلون من ارتكاب ما لا يجيزه عقل ولا فطرة، وما يحمر منه وجه المروءة والفضيلة، ويجعلون ذلك طريقًا لإخراج الشاب المسلم الضعيف الإدراك عن دينه.

فإذا أعيتهم الحيلة عمدوا (علىٰ ما جاء في الصحف) إلىٰ التخدير والتنويم، فإذا لم يفدهم هذا عمدوا إلىٰ الإرهاب والتعذيب حتىٰ يصلوا إلىٰ بغيتهم.

ولقد انبث هؤلاء المبشرون في المدن والقرىٰ، وأتقنوا الحيل، فظهروا أمام ضعفاء العقول بمظهر رسل الرحمة، فأنشئوا المستشفيات تقبل المرضىٰ وتعالجهم مجانًا، وأنشئوا المدارس تقبل أولاد الفقراء بلا مقابل، وبنوا الملاجئ تقبل المعوزين وتوسع عليهم في النفقة - عمل ظاهره فيه الرحمة وباطنه فيه الختل والخداع.

فأقبل ضعفاء الإدراك والعقول علىٰ مستشفياتهم ومدارسهم وملاجئهم ورائدهم =

حسن النية، لا يدرون أن وراء الأكمة ما وراءها.

إنهم أيها المسلمون يتخذون من هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ شباكًا يصطادون بها ضعفاء العقول من الأطفال والمرضىٰ والفقراء والمعوزين.

أما في المستشفيات فإن المبشرين ينتهزون من مرض المسلم وفقره وضعفه وحاجته إلىٰ الصحة فرصة لزحزحته عن دين الإسلام.

وأما في المدارس فإنهم يعلمون أولاد المسلمين أمورًا هي ضد الدين الإسلامي، وضد محمد ﷺ، وضد القرآن الكريم، يبثون ذلك في الدروس كالسم في الدسم، ويصورون للأطفال محمدًا ﷺ تصويرًا مخيفًا مزعجًا، ويفترون علىٰ الدين والقرآن المجيد ما شاءوا أن يفتروا، ويرغمون هؤلاء الأطفال علىٰ تأدية صلواتهم معتمدين في ذلك كله علىٰ أن الأطفال ضعفاء الإدراك يسهل تشكيكهم وتحويلهم عن دينهم.

وأما في الملاجئ فإنهم يتصيدون الفقراء الذين مسهم الضر، ثم يضعونهم فيها، فيطعمونهم ويكسونهم، وعند ذلك يتصرف المبشرون في عقائدهم الدينية حتىٰ يخرجوهم من دين الإسلام.

فإذا تم لهم ما أرادوا اجتهدوا في قطع صلة من نَصَّرُوه بأهله وذوي قرابته، وربما غربوه إلىٰ البلاد البعيدة التي لا يرجع منها إلىٰ بلاده.

أيها المسلمون: إن مما فرضه الله علىٰ العلماء أن يذكروكم بما يوجبه الإسلام عليكم نحو هذه الأعمال الضارة بدينكم وأولادكم وإخوانكم وأمتكم.

فالواجب عليكم شرعًا أن تحبطوا أعمال المبشرين، وتباعدوا بينهم وبين أولادكم

الذين هم فلذات أكبادكم.

يوجب عليكم الإسلام أن تنبذوا وتهجروا كل من يعرض ابنه أو بنته أو قريبه للدخول في هذه الأماكن الخبيثة والبيئات الضالة المضلة.

إن من يدخل ولده أو مريضه في هذه الأماكن الموبوءة بعد أن افتضح أمرها وتبينت الأعمال المروعة التي ترتكب فيها لهو الرجل المحتقر في نظر الدين، بل الخارج من حظيرة الإسلام إن كان عالمًا بتلك النتائج التي يقصدها المبشرون راضيًا فيجب عليكم معاشر المسلمين أن تهجروه، ولا تمكنوه من معاملتكم، ولا يكون له في قلوبكم أي ميل أو عطف، حتىٰ يشعر بعظم ما ارتكب في حق دينه وأولاده وعشيرته، فيفيء إلىٰ أمر الله، ويرجع عن غيه، ويخرج صغيره أو قريبه من الظلمات إلىٰ النور.

أيها المسلمون: هل ترضون لأولادكم وإخوانكم أن يتخذوا غير الإسلام دينًا والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]؟

وهل يسوغ لكم أن تسلموا أولادكم إلىٰ طائفة المبشرين وتخدعكم حيلهم والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠]؟

وهل ترضون لبناتكم المسلمات أن يكن زوجات لمن ليسوا علىٰ دين الإسلام، فيتصرفوا في أعراضهن ودينهن؟ أين نخوتكم الإسلامية؟ وأين غيرتكم علىٰ دينكم وأحسابكم وأنسابكم الكريمة؟

أيها المسلمون: إذا أنتم تهاونتم في أمر دينكم فماذا يكون موقفكم غدًا بين يدي الله تعالىٰ: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]؟

أيها المسلمون: لقد علمتم أن أعمال هؤلاء المبشرين قامت علىٰ المستشفيات والمدارس والملاجئ، ينشئونها في المدن والقرىٰ، ويتصيدون لها من هنا ومَن هنا مَن أوقعهم الفقر وسوء الحظ في حبائلهم.

فالإسلام يوجب عليكم أن تجتثوا الوباء من أساسه، فتنشئوا مثل هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ، وتقوموا بالنفقة عليها إنقاذًا لدينكم وأعراضكم، ومنعًا لفقرائكم ومعوزيكم من الذهاب إلىٰ تلك الأمكنة الموبوءة التي علمتم أغراض المبشرين من إنشائها.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

أيها المسلمون: إن إنقاذ الدين الإسلامي وأولاد المسلمين بإنشاء مثل هذه المستشفيات والمدارس والملاجئ والإنفاق عليها واجب علىٰ الأُمة الإسلامية حكومة وشعبًا علىٰ اختلاف الطبقات، وفي المقدمة العلماء كل بحسب قدرته وما يستطيع بذله، وواجب العلماء أن يبذلوا أموالهم

=

ونصحهم وإرشادهم الناس بالحجة والبرهان إلىٰ معرفة ما يوجبه الدين الإسلامي عليهم في هذا الأمر.

وواجب الحكومة التي تعني بالمحافظة علىٰ الأرواح والأموال أن تقوم بحراسة الدين، وأن تنقذ أولاد المسلمين من مخالب المبشرين، وأن تضع تشريعًا حاسمًا يستأصل ضلال المبشرين من الدولة المصرية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾. انتهىٰ.

«وقد أيد هذا القرار الحكيم جميع الهيئات الدينية والعلمية بالقطر المصري، ولبىٰ نداء هذا الواجب المقدس الثراة والوجهاء، فتبرعوا بمبالغ طائلة تحت إشراف لجان منظمة، وستوحد الجهود لاتخاذ القرارات الحكيمة في إنشاء ما يعود علىٰ الأمة بالخير والسعادة».

قرار من العلماء في كلية الشريعة الإسلامية:

في يوم الثلاثاء: ربيع الأول ١٣٥٢ (٢٧ من يونيه سنة ١٩٣٣) اجتمع حضرات أساتذة كلية الشريعة الإسلامية برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الكلية، وتداولوا فيما يقوم به المبشرون من أعمال تنفر منها العقول السليمة، وفيما يجب علىٰ المسلمين عامة والعلماء منهم خاصة نحو ذلك، فأصدروا البيان الآتي:

«اطلعنا علىٰ القرار الحكيم الذي أصدرته هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف في شأن التبشير والمبشرين، فوجدناه قد كشف الداء ووصف الدواء، وأبان عن حكم الله، ورسم للمسلمين المحجة البيضاء، ولا عذر بعد البيان.

=

=

وإنا لنؤيد ذلك القرار، ونرىٰ أنه هو الدواء الحاسم لصد عدوان المبشرين، ونضم صوتنا إلىٰ صوت هيئة كبار العلماء في مطالبة أُولي الأمر بسن تشريع حازم حاسم يقطع علىٰ أُولئك المهرجين سبيلهم، ويطمئن المسلمين علىٰ دينهم وعلىٰ أطفالهم وذوي الحاجة والضعفاء منهم.

وإن الحكومة إذ تسن هذا التشريع تعمل علىٰ صون الأمن في البلاد، وعلىٰ إطفاء نار الفتنة التي يوقدها هؤلاء المبشرون دائمًا، بما يرتكبون من استهواء أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، واستعمال وسائل غير مشروعة من إغراء القاصرين والقاصرات تارة، ومن ضربهم وسجنهم تارات أُخر، إلىٰ غير ذلك من الأعمال التي تهيج شعور المسلمين، وتثير الفتن والقلاقل، وإن تشريعًا يحفظ علىٰ الأُمة الإِسلامية دينها لهو عمل إنساني جليل يصون المبادئ السامية ويعزز الفضيلة ومكارم الأخلاق، وينشر السلام بين الناس جميعًا، فالإسلام دين السلام والمحبة والوئام.

وإننا ندعو الأمة كما دعاها هيئة كبار العلماء ألا يدخلوا أبناءهم وبناتهم مدارس المبشرين ولا ملاجئهم ولا مستشفياتهم، لأنهم يسلبونهم فيها أعز شيء لديهم، وهو دينهم، وذلك هو الخسران المبين.

وندعو الأمة كلها إلىٰ أن يتواصوا فيما بينهم بالنصح والإِرشاد في أن يمتنعوا من معاملة هؤلاء النفر الذين يرسلون أبناءهم إلىٰ مدارس المبشرين، بعد أن ظهر للعيان ضررها البليغ علىٰ الدين، وبعد أن تبينت مقاصد هذه الفئة التي سمت نفسها بالمبشِّرين، وأن يتوخوا في ذلك سبيل الحكمة والسكينة

=

=

والهدوء، وليتنبهوا إلىٰ أن أي اعتداء علىٰ أي شخص هو أكبر عقبة في سبيل العاملين للدِّين.

كما أننا ندعو أغنياء الأمة وموسريها أن ينموا فيها عاطفة الرحمة بالفقراء والضعفاء، ببذل اليسير مما أنعم الله عليهم به من الأموال في سبيل إنقاذ هؤلاء البائسين من هوة الفساد.

وسنكون من أول الباذلين لأموالهم في هذه السبيل «**الراحمون يرحمهم الرحمن**».

ساهموا أيها المسلمون في بناء المستشفيات والملاجئ والمدارس لإيواء إخوانكم وأبنائكم وذوي الحاجة منكم، ولا تلجئوهم إلىٰ أن يدخلوا في تلك النار المستعرة مضطرين في صورة مختارين ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. انتهىٰ.

وفي صحيفة «الإسلام» العدد (٢٢) عام ١٣٥٢ ما نصه:

«نداء من مشيخة الأزهر عن: معاهد المبشرين:

تلقينا من مشيخة الأزهر النداء الآتي ننشره فيما يلي بحروفه:

أيها المسلمون: السلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد قامت هيئة كبار العلماء وقادة الرأي في الأمة يحذرونكم من دور التعليم التبشيرية التي ظاهرها خدمة العلم وباطنها فتنة المسلمين عن دينهم، وكان ذلك إجماعًا من الأمة علىٰ اختلاف هيئاتها وطبقاتها، والآن وقد دخل العام الدراسي يرىٰ شيخ الجامع الأزهر ورئيس هيئة كبار العلماء من الواجب الديني عليه أن يذكر الأمة بالواجب عليها شرعًا من وجوب تجنب هذه المعاهد.

=

=

أيها المسلمون:

ها هي ملاجئ الحكومة قد فتحت أبوابها فليلجها من به حاجة إليها، وها هي ذي مدارس الدولة فليتقدم آباء التلاميذ بأولادهم إليها، وليبتعدوا عن تلك المدارس التي تحول أبناءهم عن دينهم.

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ: **«ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي علىٰ الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم، والرجل راع علىٰ أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية علىٰ بيت بعلها وولدها وهي مسئولة عنهم، والعبد راع علىٰ مال سيده وهو مسئول عنه، وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»**.

ومن رعاية الرجل في أهل بيته وهو مسئول عنها أن يحسن القيام علىٰ تربية أبنائه، وأن ينشئهم علىٰ الأخلاق الفاضلة، وأن يحفظ عليهم دينهم، وألا يعرضهم لكل ما يفتنهم عن دينهم.

وقد ثبت أن بعض هذه المدارس تنتهز فرصة ضعف أولادكم وتشككهم في دينهم، وتحط من قدر نبيهم، وتكون النتيجة إما أن يعيشوا بلا دين، وإما أن يستبدلوا دينًا غير الإسلام بدين الإسلام، فأنتم مسئولون عن ذلك غدًا بين يدي الله تعالىٰ، فيقال لكم: لماذا دفعتم أبناءكم وهم ضعفاء لمن يفتنونهم عن دينهم ويردونهم بعد إيمانهم كافرين؟

إذا كانت شفقتكم الأبوية تدفعكم إلىٰ أن تكدوا لأبنائكم وتجمعوا لهم العقار والأرضين ليسعدوا في الدنيا وينجوا من شقائها، فأحرىٰ بهذه الشفقة نفسها أن تدفعكم إلىٰ حفظ دين أبنائكم لتحرزوا لهم سعادة الآخرة ولتنجوهم من

=

=

شقائها وعذابها، وليحرزوا السعادتين وينالوا الحسنيين.

أيها المسلمون:

إننا لا نجد بدّا من أن نسدي إليكم النصح خالصًا ونتلو عليكم، (كذا) حكم الله (كذا) الرهيب فيمن أدخل أولاده في هذه المدارس، أن من أدخل ولده أو قريبه من هذه الدور وهو يعلم أنها أعدت لإخراج الناس من دينهم فهو مرتد عن الإسلام (كذا) لم يكن الله ليغفر له ولا ليهديه سبيلًا (كذا)، ألا قد بلغت، اللهم فاشهد، ليعلم الشاهد الغائب.

أيها المسلمون:

ليس المضار الناجمة من دخول هذه المدارس مقصورة علىٰ المسلمين في أمر آخرتهم، بل هي تتعداه إلىٰ أمر دنياهم، وإننا نعيذكم بالله من يوم تشطر فيه الأسرة المصرية شطرين، شطر يدين بدين الآباء والجدود وهو دين الإسلام، وشطر آخر يتشكك في الأديان كلها أو يدين بدين يتلقفه من هذه البيئات، فيقع في الأسرة بقدر هذا الاختلاف، فتنفصم العرىٰ، وتنحل القوىٰ، ويقع في الأمة من الفرقة بقدر ما وقع في الأسرة، نسأل الله أن لا يكون، فأبعدوا هذا اليوم، ولا تصوبوا سهامكم إلىٰ نحوركم، ولا تلقوا بأيديكم إلىٰ التهلكة، فإنه ليس أحمق من أمة تسعىٰ بقدمها إلىٰ هلاكها، وتبحث عن حتفها بظلفها.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾. انتهىٰ.

فتوى رقم (٤١٧٢) وتاريخ ١٤٠١/١٢/٤ من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وبعد:

=

فقد اطّلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء علىٰ ما ورد إلىٰ سماحة الرئيس العام من المستفتي... وقد سأل المستفتي عن خمسة عشر سؤالًا، وبعد دراسة اللجنة لأسئلة المستفتي أجابت عن كل سؤال عقبه بما يناسبه:

ومنها: «ما الحكم أن يأخذ رجل ابنه أو ابنته، ويسجله في مدرسة فرنسية، أو إنجليزية، المخالفتين لتعاليم الدين مع زعمه أنه مسلم، وأنه يختار لهم مستقبلًا حسنًا.

جـ: يجب علىٰ الوالد أن يربي أولاده ذكورًا وإناثًا تربية إسلامية، فإنهم أمانة بيده، وهو مسؤول عنهم يوم القيامة، ولا يجوز له أن يدخلهم مدارس الكفار؛ خشية الفتنة وإفساد العقيدة والأخلاق، والمستقبل بيد الله جل وعلا، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾. ولقد صدرت فتوىٰ من اللجنة في الموضوع نرفق لك صورة منها» انتهىٰ.

فتوى رقم (٢٠٢٦٢) وتاريخ ١٤١٩/٣/٣ من اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء علىٰ ما ورد إلىٰ سماحة المفتي العام من المستفتي/ ... والمحال إلىٰ اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (١٥١٤) وتاريخ ٣١/ ٢/ ١٤١٩، وقد سأل المستفتي سؤالًا هذا نصه: (اتصل بي أحد الأصدقاء من الرياض يسأل ويقول: يوجد لدي عمارة معروضة للإيجار، وقد طلبت السفارة الفلبينية استئجارها لجعلها مدارس خاصة بأولادهم وهم غير مسلمين، فهل يجوز لي تأجيرها عليهم أم لا،

أفتونا، وجزاكم الله خير الجزاء....).

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأنه لا يجوز لك تأجير الفلة المذكورة مدرسة يعلم فيها دين غير دين الإسلام، لأن هذا من التعاون علىٰ الإثم والعدوان الذي نهىٰ الله عنه بقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾. ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ونشكرك علىٰ اهتمامك وسؤالك عما يبرئ ذمتك.. وبالله التوفيق.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	نائب الرئيس
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

عضو	عضو	عضو
عبد الله بن عبد الرحمن الغديان	بكر بن عبد الله أبو زيد	صالح بن فوزان الفوزان

بيان من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء علىٰ ما ورد إليها من كتابات وأسئلة واستفسارات حول ظاهرة شيوع المدارس والكليات الأجنبية في بلاد المسلمين والمراد بها: تلك المدارس التي أُسست علىٰ غير تقوىٰ من الله

=

ورضوان، وإنما أُسست علىٰ مناهج إفرنجية لا تمت إلىٰ الإسلام ولغته وتاريخه بصلة.

ولا يخفىٰ علىٰ كل مسلم نور الله بصيرته شدة عداوة اليهود والنصارىٰ للمسلمين، وأنهم لا يزالون يكيدون للإسلام وأهله ليلًا ونهارًا، ويعملون الخطط والشباك للوقيعة بالمسلمين وإخراجهم من دينهم الحق إلىٰ شعب الغواية والضلال!! فصارعوا المسلمين بالغزو المسلح أحقابًا من الزمن، ثم أخذوا يدسون الشبهات علىٰ العقول المسلمة في عقيدتهم وقرآنهم ونبيهم، وهو ما اصطلح عليه بالغزو الفكري أو الثقافي، حتىٰ آلت النوبة إلىٰ طعن المسلمين في أجيالهم وعقولهم صراحة عن طريق فتح المدارس والكليات ذات الصبغة الإلحادية من جهة، والإباحية من جهة أخرىٰ، فنشطوا في العناية بها شكلًا ومضمونًا لجذب عدد أكبر من عامة المسلمين لإضلالهم وإغوائهم، وجدّوا إلىٰ تكثيرها والدعاية لها، حتىٰ أصبح لها في كل بلد إسلامي منارة وصوت وتخرج فيها من أولاد المسلمين ذكورًا وإناثًا ما تتجرع الأمة بسببهم أصناف الانحلال العقدي والأَخلاقي، والسعي في قذف الأمة في محاضن أعدائها، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد قام ثلة من علماء الأقطار الإسلامية - شكر الله سعيهم - في الشام ومصر والجزيرة العربية وغيرها ببيان خطر هذه المدارس علىٰ المسلمين، وأنها امتداد للهجمات الشرسة من أعدائهم للقضاء علىٰ الإسلام في قلوب المسلمين وحياتهم، وامتدادًا لتلك الجهود المباركة من علماء الأمة، فإن اللجنة الدائمة =

....

=

للبحوث العلمية والإفتاء تقرر ما يلي:

أولًا: فتح المدارس والكليات الأجنبية في بلاد المسلمين وسيلة من وسائل الغزو المنظم ضد المسلمين من قبل أعدائهم لا سيما «المنصّرون»، وأنها خطة خبيثة كشف عن حقيقتها الغيورون علىٰ مصالح هذه الأمة. وسبق أن صدر من هذه اللجنة فتوىٰ برقم (٢٠٠٩٦) وتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٤١٨ في التحذير من وسائل التنصير ومنها: فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين.

ثانيًا: بناء علىٰ ما تقدم فإنه لا يجوز للمسلمين فتح المدارس والكليات الأجنبية، ولا تشجيعها، ولا الرضا بها، ولا إدخال أولاد المسلمين فيها؛ لأنها من وسائل الهدم والتدمير للعقيدة الإسلامية والأخلاق السوية، وهذا ضرر ظاهر وفساد محقق يجب دفعه وسد الذرائع الموصلة إليه، ويزداد الأمر تحريمًا فتح هذه المدارس في جزيرة العرب؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»، ولأنه ﷺ أوصىٰ بإخراج الكفار منها.

ثالثًا: لا يجوز لمسلم بناء ولا تأجير الأماكن والمحلات للمدارس والكليات الأجنبية؛ لأن ذلك من التعاون علىٰ الإثم والعدوان، والله ﷻ يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [المائدة: ٢]. وسبق أن صدر من هذه اللجنة فتوىٰ برقم (٢٠٢٦٢) وتاريخ ٣/ ٣/ ١٤١٩ تقضي بتحريم ذلك.

رابعًا: يجب علىٰ جميع المسلمين رعاةً ورعيةً العناية بتعليم الأولاد ذكورًا وإناثًا الإسلام الحق عقيدةً وأحكامًا وأخلاقًا وآدابًا، ولا يجوز تفريغ برامج التربية والتعليم من ذلك، ولا مزاحمة دين الإسلام بغيره من العقائد والمذاهب

=

٣- تشجيع الطوائف المنحرفة التي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة؛

=

والآراء الباطلة.

خامسًا: ليعلم كل مسلم استرعاه الله رعية أن الله عز وجل سيسأله عن هذه الأمانة التي حملها، فإن كان أدّاها على الوجه الأكمل ونصح لها فليحمد الله، وإن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾. وقال النبي ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة**».

نسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يبطل كيد الكائدين، وأن يتوفانا مسلمين، إنه علىٰ كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	**عضو**
عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ	عبد الله بن عبد الرحمن الغديان
عضو	**عضو**
بكر بن عبد الله أبو زيد	صالح بن فوزان الفوزان[1]

---

(١) ولمزيد فائدة انظر «المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية» للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، وما تقدم في هذا الموضوع نقلته منه، ولولا أهمية الموضوع وخطورته ما أطلت في النقل.

كالقاديانية وبعض الطوائف الصوفية؛ ليتمكن من ضرب الإسلام ودعوته من الداخل بأيد تنتمي إليه تلهج بذكره، وهذا أخطر سلاح استعمله الاستعمار ضد الإسلام ودعوته.

٤- اعتبار اللغة الإنجليزية لغة رسمية فِي كثير من البلدان العربية والإسلامية، مِمَّا جعل شبابنا يقبلون علىٰ تعلم هذه اللغة فِي الوقت الذي يجهلون فيه لغتهم[١] الأصلية، بل استطاع الاستعمار أن يحمل شبابنا السذج علىٰ كراهة

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤٦٩):

«فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب علىٰ الأعيان، ومنها ما هو واجب علىٰ الكفاية» اهـ.

قلت: ونبينا ﷺ أرشد زيد بن ثابت إلىٰ تعلُّم اللغة العبرية من أجل أن يقرأ له الكتب التي تأتيه، ولم يرشد غيره إلىٰ تعلم ذلك.

روىٰ الإمام أحمد (٥/ ١٨٢) وغيره بسند صحيح إلىٰ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**تحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب**». قال: قلت: لا، قال: «**فتعلَّمها**»، فتعلمتها في سبعة عشر يومًا.

قلت: فيؤخذ من هذا أن المسلم إذا احتاج إلىٰ تعلم اللغة فلا مانع من ذلك، لكن أن يجعلها شغله الشاغل، ولا ينطق إلا بها، ويترك اللغة العربية، فهذه مصيبة، ورحم الله ابن تيمية حيث قال في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤٦٨):

وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتىٰ يصير ذلك عادة للمصر وأهله أو لأهل الدار للرجل مع صاحبه أو =

لأهل السوق أو للأمراء أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه، فإنه من التشبُّه بالأعاجم» اهـ.

قال فضيلة الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: ففي تغليب اللغة الأجنبية علىٰ اللغة العربية، لتدريس المواد بثٌّ للفكر الأجنبي في عقول الناشئة، وهذا يفضي إلىٰ الآثار الآتية:

١- إن فرض اللغة الأجنبية لغة لتعليم المواد الدراسية هو في حد ذاته اقتحام للحصن الإسلامي: «اللغة العربية»، بإبعاد مظهريتها شعارًا لأَهل الإسلام، وحجبها عن لسان الناشئة، وكم في هذا من إضعافها وتبغيضها في نفوسهم؛ بل عزل لهم عن إسلامهم، فإِنّه إِذا حِيلَ بين المسلم ولغته لغة القرآن، تم العزل له بطبيعة الحال عن إِسلامه وأَمجاده، وحضارته وأَول ما ينزع منه اعتقاده في كتاب ربه «القرآن العظيم» الذي نزلَ بلسان عربي مبين علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون نذيرًا للعالمين.

٢- نتيجة لتدريس المواد بغير العربية، يتكون لدىٰ الطالب عقدة الإحساس المعمق بقصور لغته عن تدريس العلوم الحديثة، ثم قطع صلة هذه العلوم بالإِسلام ولغته العربية.

٣- ثم أنفة الشباب المسلم من لغتهم وآدابها، وزهدهم فيها، حتىٰ لا يعلموا منها إلا ما يعلمه العامي منها، وهذا سبب فَعَّال في تدهور اللغة العربية وحجب شيوعها واستعمالها.

٤- ومن آثار هذه الخطة الغضبية وجود استعداد تام لدىٰ عامة هذا النشء المسلم - إن كان بقي له شيء من إسلامه - الذي تربّىٰ في هذه المدارس الأجنبية

الإسلام وأهله، بدعوىٰ أنه دين تعصب ودين تأخر، وانطلىٰ هذا الكلام علىٰ شبابنا لجهلهم حقيقته فضلوا.

فوقف الاستعمار والمؤمنون به حجر عثرة فِي سبيل الدعوة الإسلامية، وأخيرًا غادر المستعمرون بلادنا وديارنا بعد أن تركوا علىٰ تركتهم ورثة مخلصين ليحافظوا علىٰ تركتهم، ولأنَّهم يتمكنون من العمل فِي صالِحهم أكثر مِمَّا يتمكنون هم أنفسهم.

وهذا يعنِي أن الاستعمار لَم يخرج حَتَّىٰ الآن من بعض البلاد الإسلامية، ولا أدل علىٰ ما قلت من أن اللغة الإنجليزية لا تزال رسمية في بعض تلك البلاد،

=

بتصويب السهام إلىٰ اللغة العربية من كل جانب، وأَصبحت عنده حساسية مفرطة ضد من يخطئ في اللغة الأجنبية التي تلقنها، وأَما لغته العربية فلا حجر أَن يجمع هو أَو يمر علىٰ سمعه جميع سوآت اللحن.

وهذا الوضع المزري ينتقل بالطبع إلىٰ كل ما هو مكتوب باللغة العربية، وأعظم ذلك «القرآن الكريم» الذي نزل بلسان عربي مبين، فلا يحسن قراءته فضلًا عن فهمه وتدبره.

وهذا آخر المطاف المطلوب، صرف الجيل عن تراث الأُمة الإِسلامية المكتوب بلسانها العربي، وفي مقدمتها الوحيان الشريفان «الكتاب والسنة». والانصراف إلىٰ التراث الوافد المكتوب باللغة التي تلقنها وشب عليها، وكسر عقود حياته في دراستها، كما هو مشاهد ومعروف في أبناء كثير من الدول العربية التي سلخ الاستعمار لسانها. اهـ[1].

---

(١) «المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية» صـ٣٥- ٣٦.

والذين يستعملونها هم من المسلمين رسميًّا ولهم لغتهم وثقافتهم، وما ذاك إلا لأنهم ورثة مخلصون يقدرون لغة المورث كما يقدرونه.

وهؤلاء الورثة أشد عداوة لدعاة الإسلام ودعوتهم، والله المستعان.

❃ ❃ ❃

الاستعمار الشرقي

فبينما يعاني الدعاة تلك المعاناة من الاستعمار الغربي وورثته المخلصين، فإذا هم يفاجئون باستعمار من نوع آخر أشد ضراوة وأشد حقدًا علىٰ الدعوة الإسلامية وأهلها، وهو الاستعمار الشرقي الملحد، وكان ماكرًا يظهر للغوغائيين نوعًا من الرحمة في أسلوب معسول يخدع السذج من الناس، فقد خدع الطبقة الفقيرة ووعدهم بثراء يأتيهم بين عشية وضحاها إذا آمنوا به وأخلصوا له؛ ليثيرهم ضد الأغنياء وأصحاب الأموال الطائلة، وكان يضحك علىٰ سذاجة الفقراء، فيقول لهم: إن هؤلاء الإقطاعيين طالما ظلموكم ونحن نريد أن نمن عليكم وننقذكم مما أنتم فيه من الفقر والحاجة، ونرفعكم إلىٰ المستوىٰ اللائق بكم؛ لنحقق بذلك العدالة الاجتماعية حتىٰ تعيشوا مع هؤلاء الأثرياء الإقطاعيين جنبًا إلىٰ جنب.

من هنا طار الفقراء فرحًا، وصفقوا لهم حتىٰ كلت أيديهم من التصفيق، وهتفوا لهم بالبقاء - يعيش يعيش - حتىٰ بحت حناجرهم، فجعل الفقراء ينتظرون الثراء الموعود به من السادة المستعمرين الشيوعيين، فلم يجدوا شيئًا، بل الحالة تزداد سوءًا، فإذا بالمستعمرين يهجمون علىٰ أموال الأثرياء فيصادرونها باسم الفقراء، ولكن لم تنقل إلىٰ خزائن الفقراء - كما كان يتوقع الفقراء -، بل نقلت إلىٰ خزانة الخاصة لتشترىٰ بها الضمائر الرخيصة والأيدي الأثيمة لتسلط علىٰ دعاة الإسلام وعلماء المسلمين بالتعذيب والتشريد والتقتيل؛ لمحاولة القضاء علىٰ الدعوة وأهلها؛ ظنًّا

منهم بأن الدعوة سوف تموت بموت الدعاة والعلماء - خابوا وخسروا -.

صحيح أن الدعوة فِي المنطقة أصيبت بنكسة خطيرة بموت القادة المسئولين، ولكنها لَمْ تمت ولن تموت بإذن الله، بل سوف تبقىٰ ما بقيت الغبراء تحت الخضراء، بل إنَّها تواصل سيرها إِلَىٰ الأمام ولو كره المجرمون المستعمرون والمؤمنون بِهم.

إن هذا الاستعمار الشرقي من مكائده أنه دخل المنطقة وهو ينادي ويهتف مع المواطنين: يسقط الاستعمار... يسقط الاستعمار... الاستعمار عدو الإنسانية، إِلَىٰ آخر الهتافات المضللة، فاطمأن الغوغائيون وهتفوا بحياة الرفيق المخلص علىٰ درب الحرية: الرفيق... الرفيق...، ولكنه لَمْ يرفق بِهم ولَمْ يرحمهم، فجعل يظهر فِي كل بلد بوجه وبلقب جديد، ويتلون بحسب الظروف، الشيوعيون، اليساريون، الاشتراكيون، الاشتراكية العربية، الاشتراكية الإسلامية، الاشتراكية المحلية...

وهكذا ولا يزال يفسد فِي الأرض، ويسفك الدماء، ويهلك الحرث والنسل، ويكسب الأصدقاء من أناس من بني جلدتنا، ويتكلمون بلساننا، وينتسبون إِلَىٰ ديننا وإسلامنا فيما يبدو للناس، وعلىٰ الرغم من ذلك كله أن هذا الاستعمار هو صديق جمهور الغوغائيين؛ لأنه يمدنا بالأسلحة الَّتِي يحارب بِها الاستعمار، إنَّها من عجائب الدهر!! وهل هناك استعمار أظلم من هذا الاستعمار الذي لَمْ يترك لنا دينًا ولا دنيا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1]، فما قيمة الأسلحة الَّتِي ندفع ثمنها ديننا وعقيدتنا؟ أفلا يعقلون[2]؟!

---

(١) الحج، آية: (٤٦).

(٢) انظر: «السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة»، ورسالة: «فتوىٰ في وحدة المسلمين مع الكفار» لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

دعوة محمد بن عبد الوهاب وصمودها للمشاكل

وفي القرن العشرين كان يعيش مُحَمَّد بن عبد الوهاب[١] في قلب بلاد نجد فِي بلدة «حريملة»، فرأىٰ العالم المصلح أن ظاهرة جاهلية أخذت تنتشر فِي طول البلاد وعرضها، إذ رأىٰ الناس يترددون إِلَىٰ جذوع النخل وقبور الموتىٰ، فيطلبون من الموتىٰ والجمادات ما لا يطلب ولا يملكه إلا خالق الأرض والسموات، رأىٰ الناس يطلبون المغفرة والشفاء مثلًا، كما لاحظ غلبة الخوف الزائد والقلق من شياطين الجن، والاستعاذة بِهم إذ خافوا منهم، وفِي الوقت نفسه يلاحظ الداعية أن الأمة الإسلامية الَّتي يتصل بِها عندما كان يطوف أكثر البلاد لطلب العلم رآهم أنَّهم كلهم - إلا ما شاء الله - أصيبوا بنفس الجاهلية بل أقبح منها، وبجانب ذلك رأىٰ كتاب الله لا يرجع إليه لأخذ الأحكام منه، وإِنَّما يحكم الحكام بغير ما أنزل الله.

هذه الظواهر الجاهلية جعلت الشيخ يفكر فِي إصلاح العقيدة، وإصلاح الأحكام، حَتَّىٰ يكون الحكم لله، والعبادة له وحده، والمتابعة لرسوله وحده، فهاجم الجاهلية، وصارح الناس بأن ما هم عليه ليس من دين الإسلام فِي شيء، فدعاهم إِلَىٰ الرجوع للإسلام الحقيقي، عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، وأن يعبد الله بِما جاء به مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام - دون

---

(١) هو الإمام محمد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي النجدي، مات سنة (١٢٠٦) هـ ودعوته تنادي بالرجوع إلىٰ هدي السلف الصالح منذ عهد الرسالة الزاهر، وتلح علىٰ تنقية مفهوم التوحيد مما علق به من الشرك. انظر «الموسوعة الميسرة» (١/ ١٦٠).

ابتداع فِي الدين، وأن تؤخذ الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله رأسًا دون لف أو دوران فِي الآراء والاستحسانات أو قوانين أو عادات، فحمل المصحف يدعو إِلَىٰ الرجوع إليه، والاكتفاء به، والسنة تشرحه وتفصل مجمله.

من هنا ثارت الجاهلية وهاجت وصاحت قائلة: إن ابن عبد الوهاب أتىٰ بدين جديد وبِمذهب خامس، والداعية ماضٍ فِي دعوته ولا يلتفت إِلَىٰ ما يقال ويشاع، وكأنِي به يقول:

وما لِي إلا آل أحْمد شيعة ... وما لِي إلا مذهب الحق مذهب

❋ ❋ ❋

نجاح دعوته رَحِمَهُ اللهُ

ولما أراد الله نجاح هذه الدعوة المباركة قيض الله لَها ملوك آل سعود، فحملوا السيف بجانب المصحف، فالشيخ يدعو ويجادل بالتي هي أحسن، ويسوق الأدلة من الكتاب والسنة محاولًا إقناع المخدوعين ليرجعوا إِلَىٰ الحق، ومن اقتنع ورضي بالله ربًّا معبودًا وحده، ومحمد رسولًا وإمامًا وقدوة وحده، وبالإسلام دينًا لا يقبل الله سواه، واتبع سبيل المسلمين، وكفر بِما يعبد من دون الله؛ فهو الأخ المسلم، فله جميع حقوق المسلمين كائنًا من كان، وعليه ما علىٰ المسلمين.

ومن لَم يتبين له الحق وتردد أو توقف، يبين له الحق، وتشرح له الحقائق، حَتَّىٰ يتبع الحق، ومن أعرض وعاند وحاول أن يقف فِي سبيل سير الدعوة ليعرقلها فالسيف أولَىٰ به، ولا شيء غير السيف، هذا لأن آخر العلاج الكي، ولأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، هكذا تعاون حملة المصحف وحملة السيف حَتَّىٰ حقق الله لَهم أمنيتهم الغالية، ووصلوا إِلَىٰ الهدف المنشود، وهو: إقامة دولة

إسلامية تحكم بالشريعة، وتقيم الحدود، وتدعو إِلَىٰ تجريد العبادة لله، والمتابعة لرسوله - عليه الصلاة والسلام -، هذا هو الصراط المستقيم الذي دعت إليه الرسل، ونزلت من أجله الكتب.

وبعد: فلم تصل دعوة ابن عبد الوهاب إِلَىٰ ما وصلت إليه من النصر وعزة أتباعه والدنيا تبش فِي وجهها وتَهش وتضحك له الأيام دون ردود فعل، بل قامت الدنيا وقعدت - كما أشرنا سابقًا - غضبًا وحنقًا علىٰ الدعوة وصاحبها، وأبَىٰ الله إلا أن يظهرها كما رأينا؛ لأنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

❁ ❁ ❁

النواحي التي ركزت عليها دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ومن اطلع علىٰ الأسباب الَّتِي حملت الشيخ علىٰ القيام بدعوته ثُمَّ درس الكتب والرسائل الَّتِي كتبها الشيخ أو كتبها أولاده وأحفاده وتلاميذهم يقطع دون شك أن دعوة الشيخ ركزت علىٰ ناحيتين هامتين:

أ- دعوة الناس إِلَىٰ تجريد العبادة لله وحده، بحيث لا يَعبد مخلوق مخلوقًا مثله من دون الله أو مع الله، وتجريد المتابعة لرسول الله وحده بحيث لا يقدم قول أحد أو رأي أحد علىٰ قول رسول الله - عليه الصلاة والسلام -.

ب- دعوة الناس وخصوصًا الحكام إِلَىٰ تحكيم شريعة الله وحدها، بحيث لا يتخذ بعض الناس أربابًا من دون الله يحللون ويحرمون: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾(١).

وذلك يعنِي أن دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهاب كانت - ولا تزال - تحارب

---

(١) يوسف، آية: (٤).

جاهليتين خطيرتين منتشرتين فِي العالم الإسلامي فِي العصر الحديث.

أولًا: جاهلية عبادة المخلوق مخلوقًا مثله، بدعوىٰ حب الصالحين، أو التوسل بِهم، أو الاستشفاع بِهم، إِلَىٰ غير ذلك من الأعذار الَّتِي تشبه قول المشركين السابقين، الذي حكاه القرآن: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]، وقد قاومت دعوة الشيخ هذه الجاهلية وطاردتْها، ولا تزال تطاردها فِي كل مكان - ولله الحمد والمنة -.

ثانيًا: جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله، وبين هذه الجاهلية والَّتِي قبلها صلة قرابة، كما لا يخفىٰ علىٰ من رزق الفقه فِي الدين؛ لأن التحاكم إِلَىٰ غير شريعة الله يعنِي اتخاذ أرباب، يشاركون الله فِي إصدار الأحكام والتشريع؛ لذا فإن دعوة الشيخ اعتبرت هذه الجاهلية قرينة الَّتِي قبلها، وأن حكمهما واحد فِي نظر الإسلام، فحاربتها كما حاربت الجاهلية الَّتِي قبلها.

من هنا نعلم خطأ الذين يزعمون بأن الدعوة - دعوة ابن عبد الوهاب - عالجت ظاهرة عبادة غير الله فقط، فِي الوقت الذي أهملت الناحية الدستورية، ثُمَّ هذا الزعم - فِي نظري - يصدر من أحد رجلين:

أحدهما: رجل مغالط ومتجاهل للحقائق، وهذا لا نرىٰ أن نطيل معه الحديث؛ لأن البحث مجرد جدال عقيم وغير منتج، فلنتركه هو وجداله.

ثانيهما: رجل قاصر النظر والفهم للأمور، فهذا يجب أن يبصر؛ بأن نريه بأن هذه الدولة الإسلامية السعودية الَّتِي قامت فِي قلب الجزيرة العربية لتحكم بالشريعة الإسلامية، وتحارب جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله، وجاهلية عبادة

---

(١) الزمر، آية: (٣).

غير الله؛ حَتَّىٰ أصبحت غريبة بين دول العالم، ولكنها من أعاجيب الزمن، حيث استطاعت ببركة تحكيم الشريعة تحقيق استقرار أمن منقطع النظير فِي دنيا العصر الحديث، حَتَّىٰ صارت تغبط لدىٰ الدول الَّتِي يسمونَها الدول الكبرىٰ، وتفردت هذه الدولة بالرجوع إِلَىٰ المصحف الشريف فِي أحكامه.

بِهذا يتبين لنا بأن قيام هذه الدولة أثر من آثار هذه الدعوة المباركة بتوفيق الله، وهل يصدق بعد هذا من يقول: إن دعوة ابن عبد الوهاب أهملت الناحية الدستورية؟ فالجواب: لا. إلا إن كابر.

❃ ❃ ❃

أعداء الدعوة

جندت الأقلام الرخيصة - كعادتِها - لمحاربة الدعوة، وأخذت تكتب ضد الدعوة غير متحرية للصدق، وهذه الأقلام تنتمي فِي الغالب إِلَىٰ الطوائف الآتية:

أ- الطوائف الصوفية المحترفة باسم الدين.

ب- الفقهاء الجامدون المقدسون للآراء.

ج- أهل الكلام المتطرفون.

تواطأت هذه الأقلام علىٰ تشويه الدعوة وعرقلة سيرها، إذ استطاعت وقامت بنشر ما يشبه التعميم العالمي - إن صح التعبير -؛ فشاع فِي العالم وعم الدنيا بأن دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهاب تعادي المذاهب الأربعة؛ جهلًا من هذه الأقلام أن ابن عبد الوهاب نفسه حنبلي المذهب، إلا أنه غير متعصب، كما نشرت الأقلام المجرمة بأن ابن عبد الوهاب وأتباعه يكرهون الرسول ولا يصلون عليه، ويعادون الأولياء وينكرون كراماتِهم، والحكايات وروايات الناس كثيرة فِي هذا الباب، ولا أستحسن سردها، بل أستبشع ذلك، لبعدها عن الذوق، وقد كتبت

تلكم الأقلام عن الدعوة كل شيء، إلا حقيقة الدعوة وأهدافها، فلم تتعرض لشيء من ذلك طبعًا!!

❊ ❊ ❊

نجاح الدعوة على رغم كثرة أعدائها

قابل صاحب الدعوة تلكم الدعايات الَّتِي بثتها أبواق الأعداء وتسطرها أقلام الأجراء، قابلها بالإعراض عنها؛ عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]، فمضت الدعوة تشق طريقها فِي الآفاق علىٰ رغم أنوف الأعداء، ولا تدخل الدعوة بلدًا فيتعرف عليها أهله ويعرفونَها علىٰ حقيقتها إلا اطمأنوا إليها وأحبوها وأقبلوا عليها غير متأثرين بدعاية الأعداء إذا تبين لَهم الحق.

ولا أشبه هذه الدعوة إلا بالقادة الفاتحين الصالحين، الذين إذا أقبلوا علىٰ البلاد الَّتِي يريدون فتحها خافهم أهلها وأصابَهم الذعر والقلق، وإذا فتحوها فدخلوها وعرفهم الناس فعرفوا فيهم الرحمة والإنصاف والعدل؛ أحبوهم وتفانوا فِي حبهم وتقديرهم، وفدوهم بالنفس والنفيس، بل انضموا إِلَىٰ معسكرهم وصاروا من أنصارهم.

هذا مثل دعوة ابن عبد الوهاب تَمامًا.

وأنا أعرف شخصيًّا بعض البلاد الإسلامية والعواصم العربية الَّتِي كانت تتصور دعوة ابن عبد الوهاب قبل عشرين سنة تقريبًا كأنَّها ملة أخرىٰ غير إسلامية، ولا يستطيع أحد أن يحرك بنت شفة ليتحدث عنها ويذكرها بخير، فضلًا عن أن يدعو إليها.

---

(١) الأعراف، آية: (١٩٩).

العاقبة للمتقين

أما اليوم فتوجد فِي بعض تلك العواصم الَّتِي وصفناها مراكز قوية لهذه الدعوة؛ تعمل فِي تصحيح العقائد، والإصلاح العام، وتحذير الناس من الوثنية والجاهلية المنتشرة هناك وتُهاجمها بشجاعة وقوة.

وأصحاب تلك المراكز ليسوا من خريجي الجامعات السعودية - كما يظن -، ولكنهم من سكان تلك البلاد والذين كسبتهم الدعوة وجندتْهم؛ لكونها موافقة للفطرة السليمة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١)، فسيطرت الدعوة علىٰ الموقف، فأخذت تلاحق الجاهلية - جاهلية دعوة غير الله - وتطاردها أينما كانت؛ حَتَّىٰ رجع الناس إِلَىٰ الدين الصحيح.

وقصارىٰ القول: إن الدعوة تعني أن يفهم الناس الإسلام من جديد فِي العصر الحديث كما كان يفهمه المسلمون الأولون، نابذين البدع والخرافات الَّتِي لا أصل لَهَا فِي الدين وراءهم ظهريًّا؛ سعيًا وراء الوحدة الإسلامية الكبرىٰ، الوحدة الَّتِي يكون حجر زاويتها تحقيق التوحيد، وهتافها بـ«لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله».

وتحقيق التوحيد هو الذي من أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب السماوية كلها، وبتحقيق كلمة الإخلاص نستطيع تكوين أمة قوية بإذن الله، الأمة الَّتِي لَهَا سيادتُها ومناعتها، تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وتؤمن بالله وحده، تلك الأمة الَّتِي تعنيها آية سورة «الحج»: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟

(١) الروم، آية: (٣٠).

عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[(١)].

وسعيًا فِي دعوة ابن عبد الوهاب فِي تكوين مثل هذه الأمة، فقد ندّدت بالجاهليات فِي جميع صورها، ندّدت بِها بكل شدة دون مجاملة أو مداهنة، وكانت أكثر صراحة فِي هذا الباب من أية دعوة أخرىٰ فِي العصر الحديث، ولذلك كثر أعداؤها منذ ظهورها، ولكنها علىٰ الرغم من ذلك بلغت حيث لَم يتوقع أنَّها تصل إليه، بل قد انتشرت كتب الداعية ورسائله فِي أقطار الدنيا بعدة لغات.

والعجيب من أمر هذه الكتب أنَّها تدخل أحيانًا علىٰ بعض الناس وهم لَها كارهون؛ لِـمَا يبلغهم عنها بواسطة الدعايات المغرضة، وإذا ما درسوها وفهموها رغبوا فيها وأحبوها، وطلبوا المزيد منها.

❁ ❁ ❁

قصة قصيرة

حدثني من أثق به أنه كان يوجد فِي بعض مدن الهند عالِم يدرس فِي المساجد، وكان من عادته إذا انتهىٰ من الدرس يدعو الله كثيرًا، وكان فِي دعائه أنه يدعو علىٰ الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ويلعنه.

وكان ممن يحضر درسه طالب سعودي واع ولبق، فكر الطالب السعودي كيف ينقذ هذا المدرس المسكين الذي ضللته الدعاية المضللة؛ حَتَّىٰ وقع فِي هذه الورطة، فهداه تفكيره بإذن الله إِلَىٰ الحيلة الآتية:

عمد إِلَىٰ كتاب «التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد»، فنَزع عنه الغلاف والورقة الأولَىٰ الَّتِي تحمل اسم المؤلف، ثُمَّ تقدم إِلَىٰ المدرس الهندي فطلب منه أن

---

(١) الحج، آية: (٤٠، ٤١).

يقرأ هذا الكتاب، ثُمَّ يخبره عن مضمونه، وما رأيه فيه؟.

فأخذ المدرس الكتاب، فقرأه، فأعجب به، فسأله الطالب فِي غد عن الكتاب، فأخذ المدرس يثنِي علىٰ الكتاب ثناء عظيمًا، ويصفه بأنه من أحسن الكتب فِي بابه، فقال الطالب السعودي: إن مؤلف هذا الكتاب هو مُحَمَّد بن عبد الوهاب الذي تلعنه، فقدم له الغلاف والورقة المنْزوعة الَّتِي فيها اسم الشيخ؛ فاندهش المدرس، فتندم وأخذ يدعو للطالب، ثُمَّ غير موقفه مع الشيخ، بل غير أسلوب الدعاء، فجعل يدعو للشيخ آخر كل درس بدلًا من الدعاء عليه، فنسأل الله تعالىٰ أن يعفو عنه.

هكذا تضلل الدعاية الناس وتورطهم، ثُمَّ تنجح الدعوة إلَىٰ الله وبالحكمة، كما رأينا فِي صنيع الطالب السعودي الموفق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1] صدق الله العظيم.

وبعد، فهذه هي دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهاب منذ نشأتِها إلَىٰ العصر الحديث، عرضتها بإيجاز مع بعض المشاكل الَّتِي واجهتها.

ولقد لقيت هذه الدعوة من أعدائها مشاكل ومحنًا لَم تلق مثلها أية دعوة فِي العصر الحديث فِي الغالب، ولكنها نجحت نجاحًا لَم يكتب لغيرها من الدعوات فِي الغالب.

فجزىٰ الله صاحبها ومن حملها من بعده خير ما جازىٰ به المصلحين، كما نسأله تعالىٰ أن يثبت ملوك آل سعود وأمراءهم، الذين كانوا لهذه الدعوة خير عون، والذين قاموا بنشرها والدفاع عنها ونشر كتبها، ولا يزالون كذلك، تقبل الله منهم عملهم الإسلامي.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ خير خلقه مُحَمَّد وآله وصحبه.

---

(١) النحل، آية: (١٣٥).

فهرس رسالة
دخلوا في الإسلام طوعًا ورغبة واختيارًا لا كرهًا ولا اضطرارًا

❁❁❁

فهرس رسالة
مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث


دار سبيل المؤمنين
عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠٠٢٠١-٠٧٦١-٠٠٩٩
www.darsabilelmomnen.com
Eimail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com


دار سبيل المؤمنين
عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٠٩٩
www.darsabilelmomnen.com
Eimail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com

دخلوا الإسلام طوعًا

ورغبة واختيارًا لا كرهًا ولا اضطرارًا

مُنتقى من

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى

للإمام

شمس الدين أبي عبد الله ابن القيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله

ويليه

مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث

للعلامة

محمد أمان بن علي الجامي

المتوفى سنة ١٤١٦ هـ رحمه الله

اعتنى بهما وعلق عليهما وخرج أحاديثهما

أبو همام

محمد بن علي الصومعي البيضاني

غفر الله له بمنه وكرمه

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع



عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
جوال / ٠٠٢٠١٠٧٦١٠٠٩٩
www.darsabilelmomnen.com
Eimail : Dar_Sabilelmomnen@yahoo.com
E-mail: Dar_Sabilelmomnen@hotmail.com

دار سبيل المؤمنين